المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

المضامين التربوية المستنبطة

من نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف

وتطبيقاتها التربوية

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب

عيسى بن محمد يحيى بن عبيدالله البشامي الأنصاري

الرقم الجامعي : 42580089

إشراف سعادة الدكتور

نايف بن حامد بن همام الشريف

الفصل الدراسي الأول
1430 – 1431 هـ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

الزمر: ٩

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِيْنَ)

رواه مسلم (ج2 ، ص 250، رقم الحديث 2531)

ملخص البحث

عنوان البحث : المضامين التربوية المستنبطة من نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف وتطبيقاتها التربوية .

اسم الباحث : عيسى بن محمد يحيى بن عبيد الله البشامي الأنصاري .

أهداف البحث : تهدف الدراسة إلى إبراز أهم المضامين التربوية المستنبطة من آيات نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف عن طريق تحقيق الأهداف التالية :

1- التعرف على ملامح سورة الأعراف .

2- بيان المضامين التربوية الدينية في آيات (النداء لبني آدم)

3- إيضاح المضامين التربوية الأخلاقية في آيات (النداء لبني آدم)

4- التعرف على المضامين التربوية الاجتماعية في آيات (النداء لبني آدم) .

5- تحديد التطبيقات التربوية للمضامين المتضمنة في آيات (النداء لبني آدم) المتعلقة بالجوانب : الدينية والأخلاقية والاجتماعية في الأسرة .

منهج البحث : استخدم الباحث المنهج الوصفي .

فصول الدراسة : يتكون هذا البحث من الفصل التمهيدي وستة فصول :

الفصل الثاني : ملامح سورة الأعراف .

الفصل الثالث : المضامين التربوية الدينية في آيات النداء لبني آدم .

الفصل الرابع : المضامين التربوية الأخلاقية في آيات النداء لبني آدم .

الفصل الخامس : المضامين التربوية الاجتماعية في آيات النداء لبني آدم .

الفصل السادس : التطبيقات التربوية في آيات النداء لبني آدم .

الفصل السابع : الخاتمة والنتائج والتوصيات .

ومن أهم النتائج :

1- أن دراسة آيات القرآن الكريم تتطلب زاداً لغوياً وقراءة متأملة لكتب التفسير والدراسات والبحوث القرآنية .

2- أن كلّ باحثٍ ذي اختصاص يجد بغيته في القرآن الكريم وبخاصّة في المجال التربوي .

3- أن آيات النداء لبني آدم في سورة الأعراف اشتملت على كنوز من المضامين التربوية .

ومن أهم التوصيات :

1- الاهتمام بالجوانب التربوية وتطبيقاتها في الدراسات القرآنية .

2- بذل الجهود ودعم الباحثين في هذه المجالات .

3- نشر ورعاية البحوث القرآنية في مجال التربية والترويج لها إعلامياً وثقافياً وتربوياً .

Abstract

Title: Educational implications derived from the calls of mercy to the sons of Adam in Surat al-a'araf and educational applications.

Name: Essa bin Mohammed yahya bin Obaid Allah Al Ansari.

Research Objectives: The study aims to highlight the most important educational content derived from the verses of appeals to the sons of Adam Rahman in Surat Al-a'araf by achieving the following objectives:

1 - identify the features of Al-a'araf.
2 - A religious educational content in the verses (the call of the sons of Adam)
3 - to clarify the contents of moral education in the verses (the call of the sons of Adam)
4 - Identifying the educational implications of social development in the verses(the call of the sons of Adam)
5 - Determination of educational applications of content contained in the verses (the call of the sons of Adam)
on aspects: religious, moral and social development in the family.

Research Methodology: Use a researcher descriptive approach.

Chapters of the study: This research consists of the introductory chapter, six chapters:

Chapter II: Profiles Surat Al-a'araf.

Chapter III: The contents of religious education in the verses of the appeal to the children of Adam.

Chapter Four: The ethics of educational content in the verses of the appeal to the children of Adam.

Chapter V: social educational content in the verses of the appeal to the children of Adam.

Chapter VI: educational applications in the verses of the appeal to the children of Adam.

Chapter VII: Conclusion and findings and recommendations.

The most important results:

1 - that the study of the verses of the Qur'an require increased language and reading books reflective interpretation and Quranic studies and research.
2 - that every researcher to find a competent Bgith in the Koran and in particular in the educational field.
3 - The verses call for the sons of Adam in Surat Al-a'araf included the treasures of the educational content.

One of the main recommendations:

1 - attention to educational aspects and applications in Quranic studies.
2 - Efforts and support researchers in these areas
3 - Publish and sponsor research in the field of Quranic education and promotion of the media and culturally and educationally.

الإهـــداء

- **إلى والدتي الغالية : أم عبد الحي - رحمها الله رحمة واسعة - .**
- **إلى والدي - أمد الله في عمره ، ورَزَقهُ الصّحة والعافية - .**
- **إلى الزوجة الغالية ، وأبنائي الذين شجعوني على إتمام العمل .**
- **إلى كل مربٍّ ومربية في ميدان التربية .**

إليهم جميعاً .. أهدي هذا البحث راجياً من الله القبول والعلم والفائدة .

شكر وامتنان

الشكر لله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وشكر أهل الفضل على فضلهم وعلى رأسهم سعادة الدكتور **نايف بن حامد الشريف** ، الذي غمرني بكرَمِه ، وغزير علمه ، ولطفِه ، وحُسن خُلُقِه . فقد صبر عليّ في الإشراف والمتابعة والتوجيه ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

والشكر موصول للأستاذ الدكتور **حامد بن سالم الحربي** والدكتور **نايف بن حامد الشريف** على تحكيم الخطّة وإقرارها .

وأتقدم بالشكر والتقدير لكل الأساتذة الأفاضل في قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، وعلى رأسهم سعادة الدكتور **نايف بن حامد الشريف** رئيس القسم ، وكذلك المرشد الأكاديمي سعادة الدكتور **عبد الناصر سعيد عطايا** ، الذي أكن له كل العرفان والتقدير .

والشكر موصول للمناقشين الكريمين : سعادة الأستاذ الدكتور **السعيد محمود السعيد عثمان** ، وسعادة الأستاذ الدكتور **محمود محمد كسناوي** ، على تفضلهم بقراءة البحث وقبول المناقشة .

وأشكر القائمين على جامعة أم القرى وكلية التربية على إتاحتهم الفرصة لي لمواصلة دراستي .

وأشكر أفراد عائلتي وأقاربي وزملائي ، وجميع من أعانني في هذا البحث بفكرة أو خاطرة ، أو استعارة كتاب . وأقول لهم جميعاً : جزاكم الله عني خير الجزاء .

والحمد لله رب العالمين .

الباحث

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

آية وحديث ..... أ

ملخص البحث (عربي) ..... ب

ملخص البحث (إنجليزي) ..... ج

الإهداء ..... د

شكر وامتنان ..... هـ

المحتويات ..... و

الفصل الأول : الفصل التمهيدي 1

المقدمة 2

موضوع الدراسة 5

تساؤلات الدراسة 6

أهداف الدراسة 7

أهمية الدراسة 7

منهج الدراسة 8

حدود الدراسة 8

مصطلحات الدراسة 9

الدراسات السابقة 10

الفصل الثاني : ملامح سورة الأعراف 15

المبحث الأول : التعريف بالسورة 16

المبحث الثاني : ما اشتملت عليه السورة 18

الفصل الثالث : **المضامين التربويّة الدينية في آيات النداء لبني آدم**..20

المبحث الأول : التقوى 21

المضامين التربوية للتقوى 40

الآثار التربوية للتقوى 43

المبحث الثاني : التحذير من فتنة الشيطان.....45

المضامين التربوية في مواجهة فتنة الشيطان 48

الآثار المترتبة لمواجهة فتنة الشيطان 59

المبحث الثالث : الزينة عند العبادة 60

المضامين التربوية لاتخاذ الزينة عند العبادة 61

الآثار المترتبة لاتخاذ الزينة عند العبادة 62

المبحث الرابع : الاستجابة للرسل 64

المضامين التربوية للاستجابة للرسل 64

الآثار المترتبة للاستجابة للرسل 65

الفصل الرابع : **المضامين التربوية الأخلاقية في آيات النداء لبني آدم** ..68

المبحث الأول : اللباس 69

المضامين للتربوية للباس 73

الآثار التربوية للباس 75

المبحث الثاني : ستر العورة 77

المبحث الثالث : النهي عن الإسراف 82

الفصل الخامس : المضامين التربوية الاجتماعية في آيات النداء لبني آدم .. 87

المبحث الأول : علاقة الناس مع بعضهم 88

المضامين التربوية لعلاقة الناس مع بعضهم 88

الآثار التربوية لعلاقة الناس مع بعضهم 95

معالم هدْي الإسلام في الإحسان إلى الناس قولًا وعملًا 96

المبحث الثاني : الإحسان إلى الفقراء والمساكين 99

الآثار التربوية للإحسان إلى الفقراء والمساكين 100

الفصل السادس : التطبيقات التربوية في آيات النداء لبني آدم..... 102

المجال الديني 103

المجال الأخلاقي..... 105

المجال الاجتماعي 106

الفصل السابع : الخاتمة ـ النتائج ـ التوصيات 107

الخاتمة 108

النتائج 109

التوصيات 110

المراجع 111

الفصل الأول

الفصل التمهيدي

ويشتمل على التالي :

- **مقدمة الدراسة .**
- **موضوع الدراسة .**
- **تساؤلات الدراسة .**
- **أهداف الدراسة .**
- **أهمية الدراسة .**
- **منهج الدراسة .**
- **حدود الدراسة .**
- **مصطلحات الدراسة .**
- **الدراسات السابقة .**

مُقَدِّمَة :

القرآن الكريم ، كلامُ الله تعالى ، وكتابُه المنزّل على خاتم رُسله ﷺ ؛ ليكون دستورًا ، ومنهجَ حياةٍ . ربّى الله جل وعلا به نبيَّه ﷺ ، فربّى به جيلًا من المؤمنين ؛ نقلهم نقلةً هائلةً من ظُلمات الجهل والشرك والوثنية ، إلى نور التوحيد ، والإيمان ، والإسلام . فتقرّرت – لأوّل مرةٍ في تاريخ البشرية - على أساس مبادئه وتعاليمه العظيمةِ كرامةُ الإنسان ؛ بوصْفِه إنسانًا فيه نفحةٌ من روح الله ، وقامتْ به حضارةٌ شعّتْ نورًا وهدًى عمّ الدّنيا ، بُنائُها ، وأهلُها هم خيرُ أمّةٍ أُخرجت للناس .

إن الجانب التربوي من المنهج القرآنيّ يتضمّنُ أُسسًا ومبادئَ وقواعدَ ؛ تستدعِي التأمُّل والتدبُّر ؛ لاستخراج هذه الكنوز التربوية ، لدراستها ، وبحثها ، وتأصيلها .

ويتميّز المنهج القرآني الكريم في الجانب التربوي بالشمول ؛ ففيه على سبيل المثال- : الموعظة الحسنة ، والمَثَل والعِبرة ، والتوجيه ، والمشورة ، وآداب المعاملة ، وفضائل السلوك . بل إنّ فيه كلَّ ما يخصّ الإنسانَ في جميع شئون حياته . قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩.

وكتابُ الله تعالى هو أنيسُ المؤمن ، وراحتُه ، وطمأنينة قلبه في رحلته الشاقة في الحياة على هذه الأرض . وهو النور الذي يضيء جوانب روحه ، والمعلّم الذي يلقّنه ، والهادي الذي يبيّن له معالم الطريق .

إنّ الحياة مع القرآن تثير في النفس عالَمًا من المشاعر لا يعرفها ، ولا يتذوقها ، ولا يشعر بحلاوتها إلّا مَنْ رزَقَه اللهُ قلبًا خاشعًا ، وعقلًا متدبِّرًا ، ونفسًا مطمئنّةً . ذلك أنّ الحياة مع القرآن - في حقيقتها - هي الحياة مع الله ؛ لأنّ القرآن كتابُ الله المنزل وكلامُه الموجّه إلى الإنسان ؛ فيشعُر كلُّ تالٍ متدبِّرٍ لكتابِ الله تعالى كأنّ خطابَ الله – جلّ في علاه- يعنِيه هو بالذاتِ .

في ثنايا هذا الخطاب توجيهاتٌ ربّانيّةٌ توجّه كيانَ الإنسان ؛ روحًا ، وعقلًا ، وفكرًا .

وممّا يملأ قلبَ المؤمنِ هيبةً ، ورهْبةً ، وخشوعًا ؛ إدراكُه أنّ الخطابَ القرآنيَّ مُتَّصِلٌ مباشرَةً بالله -جل جلاله- . ويعمّقُ هذا الخشوعَ وتلكَ الرّهبة ما يشتملُ عليه الكتاب العزيز من وصْفٍ لله تعالى ، وثناءٍ عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله . فهو الخالقُ العظيم المدبّر لكلّ ما في هذا الكون ؛ لا يُعجِزُهُ شيءٌ . وهو الجبّار المتكبّر ، شديد العقاب ، رءوف رحيم ، كريم ، لطيفٌ بعباده ...

وإضافَةً إلى ذلك ؛ فإنّ المؤمن حينما يتلو كتابَ ربّه راغبًا في ما عند الله ، خاشعًا ، متدبّرًا ؛ فإن تلك التلاوة عبادةٌ ، يكتب الله له بها على كل حرف أجرًا .

وحسبنا أن القرآن الكريم هو الفصل ليس بالهزل ؛ من تركه من جبّارٍ قصمهُ الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرّدّ ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تَنْتَهِ الجنُّ إذْ سمعتْهُ حتى قالوا :﴿ ... سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾ الجن: ١ - ٢ .

إنّ المؤمنَ الذي لا يزالُ لسانُه رطبًا بذكرِ الله ، وتلاوة آياته ، المتخلّق بأخلاق القرآن ، المتأدّب بآدابه ، الماضي في حياتِه على نهجه ؛ حينما يقيّم شخْصيّته فإنّ السعادة ستغمر قلبَه ؛ ذلك أنّ أسعد أوقات حياته حينما يعيش مع القرآن الكريم ، بروحه ، وعقله ، وقلبه ، وفكره ؛ مطبِّقًا مبادئه على نفسه ، وعلى أهله ، وذويه .

وهكذا ؛ فإنّ تعليم القرآن الكريم وفهمه ، والعمل على ذلك بجدٍّ وعنايةٍ ، مما يتوجّبُ ويتحتّم على المسلمين في هذا العصر . لأنّ القرآن الكريم كنزٌ من كنوز الثقافة البشرية - لاسيما الروحية منها - . وهو –في الدرجة الأولى- كتاب تربية وتهذيب على وجه العموم ، وكتاب تربية اجتماعية وأخلاقية على وجه الخصوص .

وإذا كانت الفلسفة تُعنَى بدراسة بدايات الأمور ونهايتها ، وبدراسة العلاقات والارتباطات بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبين الإنسان والكون ، وبين الإنسان وخالق الكون سبحانه وتعالى ؛ فإن القرآن الكريم يشمل كل ذلك .

وإذا كانت التربية تُعنى بتنشئة الإنسان ونموه في الجنس البشري فحسب ؛ فالقرآن الكريم يُعنَى بتربية الموجدات كلها ، بما في ذلك تربية الإنسان .

إن القرآن الكريم ليس كتاب نظريات نفسية أو علمية أو فكرية ، ولكنه يحوي التوجيهات الكاملة لإنشاء هذه النظريات ؛ إنه كتاب تربية وتوجيه . وفي سبيل هذا التوجيه يكتشف الإنسان نفسه ، وأسرار الكون من حوله ، ويدعو إلى دراسة ما يحيط به ؛ ومن ثم يتجه الاتجاه الصحيح .

فضلا عن ذلك ؛ فإن القرآن الكريم معجزةٌ حارت فيه العقول حين نزل به الأمين جبريل عليه السلام ولم يستطع أحدٌ أن يأتيَ بجزء يسير مِن مِثْلِه .

وهو مع ذلك قد رسم صورة الإسلام ، وكيفية التعامل بين البشر بمختلف الأديان التي يؤمنون بها .

إنّ النّاظر في حال المجتمع اليوم ، المتأمل في واقعه ؛ يجد هناك خللًا ما في المجتمع المدرسي عموماً والأسرة خصوصاً . لا علاجَ لذلك الخلل إلّا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، والتمسُّك بهما ؛ للعودة إلى جادة الصواب .

وقد اهتم بجانب التربية للفرد والمجتمع في جميع المجالات : الدينية ، والاجتماعية ، والأخلاقية . وإذا كانت كثرة الشرور وتفاقم ويلاتها على الأمّة ناتجةٌ عن ضعف التربية ، وبخاصّةٍ تلك التربية المتعلقة بحياة الإنسان وطبيعته وسلوكه . فإنّ سبب ذلك يعود إلى أن بعض المجتمعات الإسلامية تعيش في عزلةٍ عن كتاب ربها ، وما فيه من تربية وتوجيه ، وأسلوب حياة .

وقد أراد الباحث – من خلال ما درَسه وعرَفه وقرأه ، أن يساهم بجهده في إثراء هذا الجانب المهمّ من حياة الأمة المسلمة . لذلك حرص في هذه الدراسة المتواضعة على تسليط الضوء على **المضامين المستنبطة من نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف** ؛ للوقوف على جانب من جوانب التربية الربّانية في هذه الآيات .

موضوع الدراسة :

مِن رحمةِ الخالق سبحانه وتعالى بعبادِه ، ولُطْفِهِ بهم : أنْ وجّه إليهم أربع نداءات إلهية (بوصف البُنوّة لآدم) وهي النداءات الوحيدة التي نودي بها الناس جميعاً في القرآن الكريم .

وهذه النداءات تعود بالإنسان إلى أصل الخِلقة ، وأنهم خرجوا من رَحِمٍ واحد ؛ فهم على تنوُّع أجناسهم ، واختلاف ألسنتهم ولغاتهم يعودون إلى رجلٍ واحد ؛ هو آدم عليه السلام . وتشتمل هذه النداءات الربّانية الموجّهة إلى لإنسان على مواضيع مختلفة ، ووقفات تربوية عديدة .

وقد وجد الباحث أنّ هذه الآيات الكريمة التي تتصدّرها النداءات الربّانية تشتمل على مضامين تربوية تتعلّق بحاجات البشر في حياتهم -سواء أكان على

المستوى الفردي ، أم الجماعيّ - ، الأمر الذي يؤكّد رؤية الباحث ضرورةَ العودة إلى المنابع والمصادر الأصيلة ؛ التي تنهل من معين منهجية القرآن الكريم التربوية الفريدة ؛ لتنمية الإنسان من النواحي : الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعية . وهذا بحدّ ذاته يشيرُ إلى مسيس حاجة كافة المؤسسات التربوية والمجتمعية لمثل هذا النوع من المنهجية القرآنية ؛ التي لها علاقة بدراسة هذه الآيات ، وبالمجالات : الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعية . والمضامين المتعلّقة بالأسرة ، وكيفية الاستفادة من تطبيقها .

تساؤلات الدراسة :

يتحدد موضوع البحث من خلال الإجابة عن تساؤلات الدراسة التالية :

التساؤل الرئيس : ما المضامين التربوية المستنبطة من آيات نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف ؟ وما تطبيقاتها التربوية ؟

ويتفرع عن هذا التساؤل : التساؤلات الفرعية التالية :

1- ما المضامين التربوية الدينية في آيات النداء لبني آدم ، وتطبيقاتها التربوية ؟

2- ما المضامين التربوية الأخلاقية في آيات النداء لبني آدم ، وتطبيقاتها التربوية ؟

3- ما المضامين التربوية الاجتماعية في آيات النداء لبني آدم ، وتطبيقاتها التربوية ؟

أهـــداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس التالي :

التعرف على **أبرز المضامين التربوية المستنبطة من آيات نداءات الرحمن لبني آدم في سورة الأعراف ، وتطبيقاتها التربوية** .

كما تسعى إلى تحقيق عدد من الأهداف ؛ ومنها :

1- بيان المضامين التربوية الدينية في آيات النداء لبني آدم .

2- إيضاح المضامين التربوية الأخلاقية في آيات النداء لبني آدم .

3- التعرف على المضامين التربوية الاجتماعية في آيات النداء لبني آدم .

4- تحديد التطبيقات التربوية للمضامين المتضمنة في آيات النداء لبني آدم، المتعلقة بالجوانب : الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعية في الأسرة .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في التالي :

- من الناحية العلمية :

تعلُّقها بالقرآن الكريم المصدر الأول للتربية . فقد أنزل الله القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ ليوضح لهذه الأمة ما هو مطلوب منها ، ويرسم لها الطريق الصحيح . فالله هو خالق البشر ، العالِمُ بخصائصهم وما يناسبهم ، فأنزل الله عليهم في القرآن الكريم ما يناسب خصائصهم : الروحية ، والاجتماعية ، والأخلاقية .

- من الناحية العملية :

بيان بعض المضامين التربوية المتعلقة بالأسرة والمدرسة ؛ في الجوانب : الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعي . وتطبيقاتها التربوية في الواقع . وكذلك يستفيد منها الباحث في مجال التربية الإسلامية وأصولها .

كما إن هذه الدراسة تفيد المجتمع ، والآباء ، والمربّين ؛ سواء في المدرسة ، أو غيرها من المؤسسات الاجتماعية المعنيّة بالتربية .

منهـج الدراسة :

وفقاً لأهداف وتساؤلات الدراسة ؛ فإن هذه الدراسة اعتمدت على المنهج الوصفي ؛ وذلك لدراسة المضامين التربوية الموجودة في آيات النداء لبني آدم ،

ويمكن من خلال المنهج الوصفي الاستنتاج والاستنباط ؛ ذلك أنه منهجٌ ((لا يهدف إلى وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو ؛ بل إلى الوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع و تطويره)) . (عبيدات ، 1995 م -ص284)

وسيقوم الباحث بتوظيف هذا المنهج في استنباط المضامين التربوية من آيات النداء لبني آدم ، وتطبيقاتها التربوية في الأسرة .

حدود الدراسة :

سوف تقتصر الدراسة على آيات النداء لبني آدم ، ليُستنبَط منها المضامين التربوية ؛ المرتبطة بالمجالات : الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، . وتطبيقاتها التربوية في الأسرة .

وقد وردت هذه النداءات الرّبانية ، في الآيات التالية :

- في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ الأعراف: ٢٦

- وقوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ الأعراف: ٢٧

- وقوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١

- وقوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾ الأعراف: ٣٥

مصطلحات الدراسة :

أولاً :- المضاميـــن :-

قال ابن منظور : ((المضامين :- ما في بطون الحامل من كل شيء – كأنهن تضمَّنَه . قال أبو عبيد : المضامين هي : ما في أصلاب الفحول . وهي جمع مضمون . ويقال : ضَمِنَ الشيءَ بمعنى : تَضَمَّنَهُ . ومنه قولهم : مضمون الكتاب كذا وكذا)) . (ابن منظور ، 1414 هـ ، ص258)

وفي هذه الدراسة ؛ فإن المضامين التربوية (موضوع الدراسة) هي : ما احتوته آيات النداء لبني آدم ، في سورة الأعراف من تذكيرٍ ولفتِ نظرِ البشر إلى المبادئ والقيم ، والمضامين التربوية المدرجة في كتاب الله عز وجل ، والالتزام بها .

وتتجلّى أهمّية هذه النداءات في أنها الوحيدة في القرآن الكريم ؛ التي نودي بها الناس جميعاً بوصف البنوة لآدم . وهذه النداءات تعود بالبشر إلى أصل الخِلقة ، وأنهم خرجوا مِن رَحِمٍ واحدٍ . وهذا يدل على تقارُب الناس مهما تنوعت أجناسهم ، واختلفت لغاتهم . فهم يعودون إلى رجل واحدٍ ؛ هو آدم عليه السلام .

ثانياً :- التطبيقـــات :-

التطبيق : من الكلمات المولدة ، وجاء في تعريفه أنه : ((إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية ، أو قانونية ، أو نحوها)) . (أنيس ، 1393 هـ ، ص544) .

والمقصود بالتطبيقات التربوية في هذه الدراسة : الإجراءات العملية المطلوبة من الأسرة والمدرسة على أرض الواقع .

الدراسات السابقة :

من خلال اتصال الباحث بعدد من مراكز البحث في المملكة العربية السعودية ؛ ومنها : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، وقاعدة بيانات الرسائل بجامعة أم القرى . لم يجد الباحث –حسب علمه ، واطلاعه ، واتصالاته- دراسةً سابقةً ، متّصلةً اتّصالًا مباشرًا بهذا الموضوع .

إلّا أنّ الباحث قد عثر على دراسات سابقة تناولت آيات من القرآن الكريم ؛ وذلك على النحو التالي :

الدراسة الأولى :

- **للباحث : مأمون صالح النعمان (1412هـ) وعنوانها : (مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا) دراسة تحليلية ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية بجامعة أم القرى ، قسم تربية إسلامية ومقارنة .**

وقد هدف الباحث في هذه الرسالة إلى :

1- استنباط مبادئ تربوية قرآنية .

2- بيان وإظهار منهجية القرآن الكريم التربوية الفريدة .

3- تقييم بعض المبادئ التربوية ، وتأصيل الصحيح منها .

4- الإسهام في إنماء الذات الفكرية ، والعلمية ، والتربوية المتميزة .

واستخدم الباحث المنهج الأصولي الاستنباطي .

وتتفق الدراستان في كونهما تهدفان إلى استنباط مبادئ ومضامين تربوية من القرآن الكريم .

وقد اختصّت هذه الدراسة بآيات (نداء الذين آمنوا) وهي دراسة تحليلية . أما الدراسة الحالية فسوف تتناول آيات النداء لبني آدم ، وهناك اختلاف واضح بين الدراستين .

الدراسة الثانيــة :

- **دراسة الباحث : عبد المجيد أحمد محمد الخيري (1417هـ) وعنوانها : (المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الوصايا في القرآن الكريم) رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية بجامعة أم القرى ، قسم تربية إسلامية ومقارنة .**

وهدَفَ الباحث من دراسته إلى التالي :

1- استنباط المبادئ التربوية من آيات الوصايا في جانب العقيدة .

2- استنباط المبادئ التربوية من آيات الوصايا في جانب العبادة .

3- استنباط المبادئ التربوية من آيات الوصايا في جانب المعاملات .

4- استنباط المبادئ التربوية من آيات الوصايا في جانب الأخلاق .

وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي .

ومن أهم نتائج هذه الدراسة :

1- أن العقيدة الإسلامية أساس كل خير ومنبع كل صلاح . فالإيمان قاعدة كل محبة ، والتقوى عماد كل ترابُطٍ ، وتقدُّمٍ ، وتطوُّرٍ .

2- أنّ الالتزامَ بدين الإسلامِ أساسٌ مِن أُسس وحْدةِ المجتمع ، وترابُطه . فالصلاة تدعو إلى المساواة والمؤاخاة ، والزكاة تدعو إلى التكامل والعطاء .

3- أن الإسلام اهتم بالمعاملات ؛ لما تحققه من روابط اجتماعية بين أفراد المجتمع مع بعضهم ، والمجتمعات مع بعضها البعض .

4- أن الإسلام اهتم بتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة ؛ إذ بصلاحها يصلح المجتمع .

ومن أهم توصياتها :

1- الاهتمام بالعقيدة الإسلامية وإنمائها في نفوس الناشئة .

2- الاهتمام بالجانب التطبيقي لمبادئ آيات الوصايا في حياة الناس .

3- استخدام كل الوسائل المتاحة من مؤسسات تربوية وإعلامية واجتماعية ؛ لنشر هذه المبادئ ، وتطبيقها بين أفراد المجتمع المسلم .

4- ضرورة المشاركة الفعالة بين المؤسسات التربوية ، والأسرة ، والمجتمع . والتعاون بين هذه المؤسسات لتحقيق النتائج الإيجابية .

وتتفق الدراستان في اهتمامهما باستنباط المضامين التربوية من خلال القرآن الكريم .

وتختلف تلك الدراسة عن هذه الدراسة في أنها درست آيات الوصايا في القرآن الكريم ، في حين أن الدراسة الحالية تختص بآيات النداء لبني آدم ، وتطبيقاتها التربوية . وهذا فرق واضح بين الدراستين .

الدراسة الثالثة :

- **دراسة الباحث : حسن بن محمد علي الزهراني (1417هـ) وعنوانها : (المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم) وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية بجامعة أم القرى ، قسم تربية إسلامية ومقارنة .**

وهَدَفَ الباحث في هذه الدراسة إلى :

1- التعرّف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب العقدي .

2- التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب التعبدي .

3- التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب الاجتماعي .

4- التعرف على المبادئ التربوية من آيات العهد والميثاق في الجانب الأخلاقي .

5- تطبيق مبادئ آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم .

6- إبراز أثر تلك المبادئ في حياة الناس .

واستخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي التحليلي .

ومن أهم نتائج هذه الدراسة :

1- أهمية دراسة الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضيةٍ معينةٍ دراسةً موضوعيةً .

2- أنّ المتتبّع لآيات العهد والميثاق يجدها تخاطب الوجدان ، وتوقظ في الإنسان مشاعرَ الخير .

3- تنوُّع وتعدُّد الأساليب التي عُرضت بها آيات العهد والميثاق في معالجة قضايا الأمة .

4- اشتمال آيات العهد والميثاق على عدد من الجوانب العقدية .

وخرجت الدراسة بتوصيات ؛ أهمّها :

1- أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسان للتربية الإسلامية .

2- العمل على دراسة الآيات القرآنية التي تضم موضوعاً واحداً دراسة موضوعية .

3- الاهتمام بتربية الإنسان على الإيمان .

4- الاهتمام بدراسة التفسير الموضوعي .

وهذه الدراسة تتفق مع دراسة الباحث الحالية في كونها تسعى إلى استنباط مضامين ومبادئ تربوية من كتاب الله ، وتختلف عنها في مواضع الاستنباط ؛ حيث كانت الدراسة السابقة من خلال آيات العهد والميثاق ، أما الدراسة الحالية فمن خلال آيات النداء لبني آدم .

الفصل الثاني

ملامح سورة الأعراف

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التعريف بالسورة الكريمة .
- المبحث الثاني : ما اشتملت عليه السورة .

المبحث الأول

التعريف بالسورة الكريمـة

سورة الأعراف مكية وهي مائتان وست آيات .

سبب التسمية :-

سميت سورة الأعراف لورود اسم الأعراف فيها .

وقد اختلف أهل العلم في (الأعراف) :

فقال بعضهم : هم الشهداء . وقال بعضهم : هو سور بين الجنة النار . وقال آخرون : هم فضلاء المؤمنين ، فرغوا من شغل أنفسهم ، وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس . (الشوكاني ، 1413 هـ ، ج2 / ص207)

وقيل : هم قوم أنبياء . (الشوكاني ، 1413 هـ ، ج2 / ص208)

وروى ابن جرير الطبري عن حذيفة رضي الله عنه ، أنه سئل عن أصحاب الأعراف ، فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقدت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخفت بهم حسناتهم عن النار ، فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي . والصحيح من ذلك : أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار ، ولا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة ، فصاروا في الأعراف ما شاء الله ، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه ، ورحمته وسعت كل شيء ، (السعدي ، ص316)

وأصل الأعراف في لغة العرب ؛ كما جاء عند ابن جرير الطبري رحمه الله : جمع عرف . وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً . وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه .

وقال ابن منظور : الأعراف : جمعُ عرف ، وهو كل عال مرتفع (ابن منظور ، د.ت ، ج9 / ص226)

وقيل : الأعراف أعالي السور . وقيل : الحرث الذي يكون على الفلجان (الجوهري ، 1404هـ ، ج 1 / ص 6021) . وقيل الأعراف أعالي سور بين أهل الجنة وأهل النار .

وقال ابن دريد : الأعراف : ضرْبٌ من النخل (الجوهري ، 1404هـ ، ج 1 / ص6021)

صفـــة نزولهـــا :-

هي مكية ، إلا ثمان آيات ، وهي قوله تعالى : { واسألهم عن القرية } إلى قوله : { وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة } .

موضـــوعهـــا :-

نزلت هذه السورة لتفصيل قصص الأنبياء وبيان أصول العقيدة ، وهي كسورة الأنعام بل كالبيان لها ، لإثبات توحيد الله عز وجل ، وتقرير البعث والجزاء ، وإثبات الوحي والرسالة ، ولا سيما عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثانـــي

ما اشتملت عليه الســـورة

تضمنت سورة الأعراف التي هي من أطول السور المكية ما يلي من مبادئ العقيدة الإسلامية :-

1- **القرآن كلام الله :** افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن العظيم معجزة الرسول الخالدة ، وأنه نعمة من الله ، وأنه يجب اتباع تعاليمه .

2- **أبوة آدم عليه السلام :** الناس جميعاً من أب واحد ، أمر الله الملائكة بالسجود له سجود تعظيم وتحية ، لا سجود عبادة وتقديس ، والشيطان عدو الإنسان .

وقد أعيد التذكير بقصة آدم مع إبليس ، و خروجه من الجنة ، وهبوطه إلى الأرض ، بسبب وسوسة الشيطان رمز الشر والباطل وصراعه مع الإنسان الذي يدعو إلى عبادة الله وإلى الخير والحق ، تأكيداً لما ذكر في سورة البقرة .

3- **إثبات التوحيد :** وهو الإقرار بوحدانية الله ، وعبادته وحده ، وإخلاص الدين له ، والاعتراف بحقه وحده في التشريع والتحليل والتحريم : { اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه أولياء } .

4- **الوحي والرسالة :** الوحي ثابت يتضمن هنا إنزال القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، وجوهرة التكليف بالرسالة الإلهية ، وبعثة الرسل إلى الناس : { يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي } .

5- **تقرير البعث والجزاء في عالم الآخرة :** تضمنت السورة الكلام عن البعث والإعادة يوم القيامة : { كما بدأكم تعودون } . والجزاء والحساب وانقسام الناس بسببه

إلى فرق ثلاث : فرقة المؤمنين الناجين أهل الجنة ، وفرقة الكافرين الهالكين أهل النار ، وأصحاب الأعراف وهو سور بين الجنة والنار .

6- **أدلة وجود الله :** أقام الله تعالى الأدلة الكثيرة على وجوده مثل خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وتعاقب الليل والنهار ، وتسخير الشمس والقمر والنجوم بأمر الله ، وإخراج الثمرات من الأرض .

7- **التهديد بالإهلاك :** أهلك الله الأمم الظالمة عبرة لغيرها ، وأنذر الناس بإنزال العذاب المماثل ، ورغب بالإيمان والعمل الصالح لإفاضته الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة : { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } . (الأعراف 7 / 96) .

وكذا لإرث الأرض والاستخلاف على الآخرين : { قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصبروا ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين } . (الأعراف 7 / 128) .

8- **قصص الأنبياء :** أورد الله تعالى مجموعة من قصص الأنبياء : نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، للتذكير بأحوال المكذبين أنبيائهم ، وللعظة والعبرة ، ومن أدلها قصة موسى مع الطاغية فرعون ، وعقاب بني إسرائيل بالمسخ قردة وخنازير لما خالفوا أمر الله . وتشبيه عالم السوء بالكلب :

{ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث } . (الأعراف 7 / 176) .

9- **التنديد بعبادة الأصنام :** والتهكم بمن عبد مالا يضر ولا ينفع ، ولا يبصر ولا يسمع ، من أحجار وهياكل . وذلك كله لتقرير مبدأ التوحيد الذي ختمت به السورة كما بدأت به . (الزحيلي ، 1418 هـ ، ج8 / ص 133 – 135) .

الفصل الثالث

المضامين التربوية الدينية في آيات النداء لبني آدم
في سورة الأعراف

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : **التقوى .**
- المبحث الثاني **: التحذير من فتنة الشيطان .**
- المبحث الثالث : **اتخاذ الزينة عند العبادة .**
- المبحث الرابع : **الاستجابة للرسل .**

المبحث الأول

التقوى

❁ **قال تعالى :** ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ **الأعراف: ٢٦**

أوّلاً : تعريف التقوى :

1 – التعريف اللغوي :

أ- الجذر اللغوي :

الجذر اللغوي لكلمة (التقوى) : "وقى" (ابن منظور ، د.ت ، 401/15) وأصلها (وَقْوى) "وهي فَعْلَى ، من : وَقَيْتُ . (الزبيدي ، 1400، ص8653)

ب- الاشتقاقات اللغوية :

لهذا الجذر اللغوي اشتقاقات عديدة ؛ يذكر بعضها (الفيروز آبادي ، 1403هـ، 1731/1) فيقول : " وَقاهُ ، وَقْياً ووِقَايَةً ، وواقِيَةً : صانَهُ ؛ كَوَقَّاهُ . والوَقاءُ –ويُكْسَرُ- والوَقَايَةُ مثلثةً : ما وَقَيْتَ به . والتَّوْقِيَةُ : الكِلاءَةُ والحِفْظُ . واتَّقَيْتُ الشيءَ وتَقَيْتُه : أَتَّقِيه . وأتْقِيهِ تُقًى وتَقِيَّةً وتِقاءً –ككِساءٍ- : حَذِرْتُه . والاسمُ : التَّقْوَى ؛ أصلُه : تَقْيا . قَلَبُوهُ للفَرْق بين الاسم والصِّفةِ ؛ كخَزْيا وصَدْيا" .

جـ – المعاني اللغوية :

تُجْمِعُ معاجم اللغة على أن معنى التقوى - بحسب أصلها اللغوي - يدور حول : الحفظ . (الفيومي ، د.ت ، 345/1) والصيانة . (ابن منظور ، د.ت ، 401/15)

والتقوى في اللغة : بمعنى الاتقاء ؛ وهو : اتخاذ الوقاية .
و أصل الاتّقاء : الحَجْز بين الشّيئين" . (الجرجاني ، 1413هـ ، ص90)

2 – التعريف الاصطلاحي :

في الشرع :

ليس هناك تعريفٌ شرعيٌّ محدَّد لـ(التقوى) ، ولكن هناك ما يشير إلى مدلولها ومعناها ، يُفهَم من بعض الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، والاجتهادات الفقهية . وقد أورد (ماردیني ، 1410هـ ، ص 16-18) طائفةً منها :

١ - "قال علي بن أبي طالب : التقوى هي : الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

٢ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : تمام التقوى : أن يتقي الله العبد حتى يتّقِيَه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنّه حلالٌ خشية أن يكون حراماً ، يكون حجاباً بينه وبين الحرام ، فإنّ الله قد بيّن للعباد الذي يصيّرهم إليه ، فقال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾

الزلزلة: ٧ - ٨ فلا تحقرن شيئًا من الخير أن تفعله ، ولا شيئاً من الشرّ أن تتّقِيَه .

٣ - وقال أبو سليمان الداراني : المتّقون : الذين نزع الله عن قلوبهم حبّ الشهوات .

٤ - وقال محمد بن حنيف : التقوى : مُجانَبةُ كلَّ ما يُبعِدك عن الله تعالى .

٥ - وعن بعض الحكماء : لا يبلغُ الرجل سنامَ التقوى إلا أن يكون بحيث لو جُعل ما في قلبه في طَبق فطيف به في السوق لم يستحِ ممّن ينظر إليه .

٦ - وقال أبو يزيد البسطامي : التقوى هو : التورُّع عن كل ما فيه شُبهة .

٧ - قال ابن عباس رضي الله عنهما : المتّقون هم : المؤمنون الذين يتقون الشرك بالله ، ويعملون بطاعة الله .

٨ - قال الحسن البصري : المتقون : اِتَّقَوْا ما حرّم الله عليهم ، وأدّوا ما افترض عليهم .

٩ - ويقول معاذ بن جبل رضي الله عنه : يُحبس الناس يوم القيامة في بقيعٍ واحد ، فيُنادي منادٍ ، أين المتقون ؟ فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب الله منهم ، ولا يستتر . قالوا له : ومن المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، واخلصوا العبادة لله ، فيمرّون إلى الجنة .

١٠ -قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ آل عمران: ١٠٢ قال : أن يُطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يُشكَر فلا يُكفَر" .

وهناك أقوالٌ أخرى في تعريف (التقوى) وردت في كتب المصطلحات الفقهية والشرعية ؛ أورد بعضها في التالي :

١١ -التقوى : جعْل النفس في وقايةٍ من سخط الله . (السيوطي ، 1424هـ ، 209/1) .

١٢ - وأوردَ الجرجاني بعضًا من هذه التعريفات ، فقال : " والتقوى في الطاعة يراد بها : الإخلاص . وفي المعصية يراد بها : الترْك ، والحذَر . وقيل : أن يتقي العبدُ ما سوى الله تعالى . وقيل : المحافظة على آداب الشريعة . وقيل : مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى . وقيل : ترْك حظوظ النفس ومباينة النهى . وقيل : ألاّ ترى في نفسك شيئًا سوى الله . وقيل ألاّ ترى نفسك خيرًا من أحد . وقيلَ : ترْك ما دون اللهِ ... وقيل : الاهتداء بالنبي عليه السلام قولاً وفعلاً".(الجرجاني ، 1413هـ ، ص90)

وباقي التعريفات المبثوثة في كتب الفقه ، والحديث ، وغيرهما ، لا تخرج عن هذه المعاني .

جـ- مفهوم التقوى :

إذا كانت التقوى قد استعملت في الجانب اللغوي -بمعنى عام- في الصيانة ، والحذر ، والوقاية ، واجتناب ما هو مكروه ، أو قبيح ، أو ضار . فإنّ دلالتها الشرعية تعني : التحرز من عقوبة الله تعالى وعذابه ، بطاعته وإتباع أوامره ، واجتناب نواهيه . ومن خلال المعنى اللغوي والمدلول الشرعي يتبلور مفهوم التقوى .

وقد سأل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أُبَيَّ بنَ كعب رضي الله عنه عن التقوى ، فأجابه : هل أخذت طريقا ذا شوك؟ قال : نعم . قال : فما عملت فيه؟ قال : تشمّرتُ ، وحَذِرْتُ . قال : فذاك التقوى . (القرطبي ، 1427هـ ، 140/1)

ويُنسبُ هذا القول إلى أبي هريرة رضي الله عنه . (الشوكاني ، 1413هـ ، 34/1)

إذنْ فالتقوى -في جوهرها- تقوم على استحضار القلب لعظمة الله تعالى ، واستشعار هيبته وجلاله وكبريائه ، والخشية لمقامه ،والخوف من حسابه وعقابه . وعلى هذا ؛ ينبغي أن لا ينحصر نطاقها في اجتناب الكبائر فحسب ؛ بل إنه يمتد ليشمل كل ما فيه معنى المخالفة ، حتى لو كان من اللّمم ، أو الصغائر .

وقد فُهِمَتْ التقوى هذا الفهم منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم ؛ بل إنهم جعلوا من تمام معناها : أن تتضمن الورع ، عن بعض ما هو طيب أو حلال ، حذرا من مقاربة الحرام . وهذا المعنى له أصل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن عطية السعدي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس**) (البخاري ، 1411هـ ، 158/5)

بل إنه يمكننا القول : إن التقوى ليست مقصورة على الحذر ، واجتناب المعاصي ، والرذائل ؛ بل إنها تتضمن -كذلك- جانبًا عمليًّا ؛ يتمثّل في الفضائل ،

والطاعات العملية الإيجابية . يتّضح هذا في كثير من آيات القرآن الكريم ، التي يظهر منها التكامل بين النظري والتطبيقي في مفهوم التقوى . وأكثر الآيات الكريمة دلالةً على هذا : آية البرّ المشهورة ، وهى قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

وهذا يقودنا إلى الحديث عن الوصيّة بالتقوى ؛ التي كانت أوّل وصايا الله تعالى لبني آدم ؛ في الآية الكريمة محلّ هذا المبحث . يقول تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأعراف: ٢٦

وهى أيضًا وصية الله للمسلمين وللأمم من قبلهم : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ١٣١

وحتى يتبيّن مفهوم التقوى –بجلاء- لا بد من التفريق بين (التقوى) وبين غيرها من فضائل العبادات ، والطاعات ، التي قد يلتبس معناها بها .

فالفرق بين التقوى وبين الطاعة ؛ هو : أن الطاعة : الانقياد لمطلوب الشارع بما أمر به ؛ واجبًا كان أم مستحبًّا . والتقوى : كفُّ النفس عما نهى الشارع؛ عنه حرامًا كان ، أم مكروهًا . (العسكري ، د.ت ، 137/1)

والفرق بين الإيمان والتقوى ، وبين الورع وبين التقوى : أن التقوى أكثر مدحةً من الإيمان ؛ لأن الإيمان قد تخلَّله غيرُه ، والتقوى لا يتخلَّله غيرُه . ويقارب التقوى الورعَ ؛ إلا أنّ الفرق بينهما : أن التقوى أخْذُ عدِّةٍ ، والورعُ دَفْعُ شُبهَةٍ . والتقوى متحقق السبب ، والورع مظنون السبب . والورع تجافٍ بالنفس عن الانبساط في ما لا يُؤْمَنُ عاقبتُه . (ابن الجوزي ، د.ت ، 219/1)

وهكذا ؛ فالتقوى لها معنيان : معنى نفسي ؛ وهي : خشية الله ومراقبته في السر والعلن . وهذا هو ما أراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: (**التقوى ههنا**) ثلاثًا ، وأشار إلى صدره . ومعنى ظاهري ، وهو : الاستقامة على الدين ، وذلك بامتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، وقد تسمو بصاحبها ، فتصل به إلى حد فعل النوافل والمستحبات أيضًا ، واتباع مكارم الأخلاق ، وتوقي الشبهات ، خشية الوقوع في المآثم والمحرمات . والتقوى بمعنييها لا بد منها لمن يتصدى لشرح كتاب الله ، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ الأنفال: ٢٩

ثانيا : التقوى في القرآن الكريم :

1- من معاني التقوى في القرآن الكريم :

يقول ابن الجوزي رحمه الله : "ذكر أهلُ التفسير أن التقوى في القرآن على خمسة أوجه :

أحدها : التوحيد ، ومنه قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾النساء: ١٣١ ، وفي الحجرات : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾الحجرات: ٣

والثاني : الإخلاص ، ومنه قوله تعالى في الحج :﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾الحج: ٣٢ أراد : من إخلاص القلوب .

والثالث : العبادة ، ومنه قوله تعالى في النحل : ﴿ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾النحل: ٢ ، وفي (المؤمنون) : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾المؤمنون: ٥٢ ،وفي الشعراء : ﴿ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾الشعراء: ١١.

والرابع : ترك المعصية ، ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا ﴾البقرة: ١٨٩ .

والخامس : الخشية ، ومنه قوله تعالى في سورة النساء :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾النساء: ١ ، وفي الشعراء :﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾الشعراء: ١٠٦ ، وكذلك في قصة ، هود ، وصالح ، وشعيب .

وقد قرّر القرآن الكريم أن التقوى هي الأساس، والميزان الذي يوزن به الناس، وأن الناس متساوون، وإن اختلفوا في الأجناس والألوان،

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾الحجرات: ١٣

2- ثمرات التقوى :

عدّد (الصلابي ، بدون ، 240/1-242) ثمرات التقوى العاجلة ، والآجلة في القرآن الكريم . ؛ فذكر أنّ منها :

أ- المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب :قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾الطلاق: ٢ - ٣

ب- السهولة واليسر في كل أمر: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ﴾ الطلاق: ٤

قال سيد قطب رحمه الله: «واليسر في الأمر غاية ما يرجوه الإنسان، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده؛ فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيق يأخذ الأمور بيسر في شعوره وتقديره، وينالها بيسر في حركته وعمله، ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا في يسر رَخِيّ نَدِيّ حتى يلقى الله» (قطب ، د.ت ، 3602/6)

جـ - تيسير العلم النافع: قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢ ﴾ البقرة: ٢٨٢

أي : اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك، وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئًا فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن تبعه شرعه، وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير . (رضا ، 1410 ، 128/3)

لقد تكرر لفظ الجلالة في قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ﴾ البقرة: ٢٨٢ ثلاث مرات، فالأولى حث على التقوى، والثانية وعدٌ بإنعامه، والثالثة تعظيم شأنه سبحانه وتعالى.

د ـ إطلاق نور البصيرة : قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ الأنفال: ٢٩.

إن تقوى الله تعالى في الأمور كلها تعطي صاحبها نورًا يفرق به بين الحق والباطل، وبين دقائق الشبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس، وعندما تسيطر تقوى الله على الصف المسلم يصبح يتحرك بفرقان رباني.

هـ ـ محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول في الأرض: قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ ﴾ آل عمران: ٧٦

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: **(إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض)** (مسلم ، 1415هـ ، 2030/4)

و- نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده : وهي المعية المقصودة بقول الله عز وجل: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ البقرة: ١٩٤. فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، وهي معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه، ومعيته للمتقين والصابرين وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون: ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه: ٤٦

أما المعية العامة مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد: ٤ وقوله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ النساء: ١٠٨ فتستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عز وجل.

ز- البركات من السماء والأرض: قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ٩٦

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ أي: القرى المُهْلكة ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ أي: بالله ورسله ﴿ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ أي: الكفر والمعاصي ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض) (القاسمي ، د.ت ، 221/7) .

ويدل على هذا المعنى قوله عز وجل: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الجن: ١٦

فانظر إلى بركات التقوى، واعلم أن ما نحن فيه من قلة البركة ونقص الثمار وكثرة الآفات والأمراض إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى وكثرة المعاصي، كما يقول تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١

ح- البشرى وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم: قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾يونس: ٦٢ - ٦٤

والبشرى في الحياة الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (**الرؤيا الصالحة من الله**) (البخاري ، 1411 هـ ، 88/8) وعنه - صلى الله عليه وسلم -: (**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**) قالوا: وما المبشرات؟ قال: (**الرؤيا الصالحة**) (البخاري ، 1411هـ ، 89/8) .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال: (**تلك عاجل بشرى المؤمن**) (مسلم ، 1415هـ ، 2034/4)

ط - الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم: قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٠

يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر ، والتقوى ، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . (ابن كثير ، 1407هـ ، 329/1) .

إنه تعليم من الله تعالى للمسلمين في كيفية الاستعانة على أعداء الله وكيدهم.

ك ـ حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى عز وجل: قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ النساء: ٩ ، وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذي يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شئونهم حتى تحفظ أبناؤهم ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، ويكون في إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما في آية: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ الكهف: ٨٢ فإن الغلامين حُفِظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما . (القاسمي ، د.ت ، 47/5)

ل ـ سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المائدة: ٢٧

ولهذا لابد من الدعاة العاملين والعلماء الراسخين من استحضار هذه المعاني العظيمة، فإن أعمالنا مهما كان حجمها وتضحياتنا مهما كانت ضخامتها لا تقبل إلا من المتقين، لأنهم هم الذين يستشعرون أن كل خير هو من الله وحده.

م - سبب النجاة من عذاب الدنيا: قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ فصلت: ١٧ - ١٨

إن الله تعالى سلم أهل الإيمان والتقوى من بين أظهر الكافرين دون أن يمسهم سوء أو أن ينالهم من ذلك ضرر، بسبب إيمانهم وتقواهم لله تعالى.

ن- تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر وهو سبب الفوز بدرجة الجنة: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ الطلاق: ٥

قال ابن كثير رحمه الله : (أي يذهب عنهم المحظور، ويجزل لهم الثواب على العمل اليسير) (ابن كثير ، 1407هـ ، 382/4)

س- ميراث الجنة، فهم أحق الناس بها وأهلها، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية: قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ مريم: ٦٣ ، فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل.

ع- وهم لا يذهبون إلى الجنة سيرًا على أقدامهم بل يحشرون إليها ركبانًا: مع أن الله عز وجل يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعًا لمشقتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ ق: ٣١. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ مريم: ٨٥

ف- وهي تجمع بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومشقة: قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

الزخرف: ٦٧

ومن بركة التقوى أن الله عز وجل ينزع ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبتهم، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحجر: ٤٥ - ٤٧

إن هذه الثمار العظيمة عندما تمس شغاف قلوب العاملين في الدعوة الإسلامية تضفي على العمل محيطًا ربانيًا موصولاً بالله، متصلة حلقة الدنيا بالآخرة، كما أن الحرص على تقوى الله تعالى يكسب الصف الإسلامي صفات رفيعة وأخلاقًا حميدة، ومكارم نفيسة تجعله أهلاً لتمكين شرع الله على يديه. ومن أهم هذه الصفات التي تجعل الصف المسلم متماسكًا في حركته الدءوبة نحو تحكيم شرع الله .

ثالثًا : صفات المتقين :

حينَ يتدبّر المؤمنُ الآيات الكريمة الواردة في شأن التقوى والمتقين ، ويتأمّل فيها ؛ فإنّه سيقف على خصائص المتقين ، ويستنبط صفاتهم .. ومنها :

أ- **الصدق**، فهم أصدق الناس إيمانًا، وأصدقهم أقوالاً وأعمالاً، وهم الذين صَدَّقوا المرسلين قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فلم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأهوال، وفيه إشعار بأن من لم يفعل أفعالهم لم يصدق في دعوة الإيمان: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ عن الكفر وسائر الرذائل، وتكرير الإشارة لزيادة تنويه بشأنهم وتوسيط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم . (القاسمي ، د.ت ، 54/3)

وقد رغّب النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الخصلة النبيلة والرتبة الجليلة فقال - صلى الله عليه وسلم -: (**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا**) (البخاري ، 1411هـ ، 124/7)

ب- **تعظيم شعائر الله عز وجل** قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الحج: ٣٢

إن المتقين يعظمون طاعة الله وأمره فيدفعهم ذلك إلى طاعته، ويعظمون كذلك ما نهى الله عنه فيدفعهم ذلك عن معصيته.

جـ - **تحرّي العدل والحكم به**، فالمتقون لا يحملهم بغض أحد على تركه، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

وفي الآية تعليم وإرشاد على وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه.

د- **اتباع سبيل الصادقين** من الأنبياء والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين - صلى الله عليه وسلم -، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩

فلا شك أن من صفات المتقين أنهم ينتهجون منهج الصحابة رضي الله عنهم، لأنهم أولى الناس بهذه الصفات التي أمرنا الله أن نكون مع أهلها، فقد شهد الله لهم الصدق، وشهد لهم رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فلا يجوز لأحد أن يلزمهم بشيء، أو يتهمهم بما برأهم الله عز وجل منه ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، فالصحابة كلهم عدول، وظهرت فيهم من علامات الصدق والإيمان واليقين ما يجعل العاقل يقطع بتعديلهم، فمن تقوى الله عز وجل موالاتهم ومحبتهم ونصرتهم والاحتجاج بإجماعهم، وفهم الكتاب والسنة على منهجهم وطريقتهم، وبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم . (القرطبي ، 1427هـ ، 289/8)

هـ - **ترْك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس واتقاء الشبهات**، إن المتقين يتورعون عن الشبهات وعما يرتابون فيه مما ليس حلالاً بيّنًا، وذلك أدعى أن يتورعوا عن الحرام البين، ومن اجترأ على الشبهة اجترأ كذلك على الحرام.

ولهذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (**إن الحلال بيّن وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**) (البخاري ، 1411هـ ، 22/1)

ولابد من التنبه لأمر مهم وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبهات فإنه لا يحتمل ذلك، بل ينكر عليه، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما لمن سأله من أهل العراق: عن دم البعوض يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين، وسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (**هما ريحانتاي من الدنيا**) (البخاري ، 1411هـ ، 261/4)

و- **العفو والصفح** : قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾البقرة: ٢٣٧. وقال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠

فأخبر عز وجل أن من اتصف بهذه الصفة فأجره في ذلك على الله عز وجل كما رغبهم الله عز وجل في مغفرته إذا فعلوا ذلك، فقال عز وجل: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ النور: ٢٢

وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤ فالإحسان وصف من أوصاف المتقين، ولم يعطفه على ما سبقه من الصفات، بل صاغه بهذه الصيغة تمييزًا له بكونه محبوبًا عند الله تعالى" . (رضا ، 1410 هـ ، 134/4-135)

ز- **عدم مقارفة الكبائر، أو الإصرار على الصغائر** ، بل كلما وقعوا في صغيرة رجعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح عملا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ الأعراف: ٢٠١

شأن المؤمنين المتقين إذا مسهم طائف من الشيطان لحملهم على محاكاة الجاهلين والخوض معهم وعلى غير ذلك من المعاصي والفساد تذكروا فأبصروا فحذروا وسلموا، وإن زلوا تابوا وأنابوا (رضا ، 1410 هـ ، 550/9)

إن هذه الصفات عندما تتغلغل في نفوس الدعاة والعلماء وأبناء المسلمين تكون الأمة المسلمة جديرة بنصر الله وتوفيقه، وبهذا نكون قد فصلنا أهم شروط التمكين المتمثلة في الإيمان بالله والعمل الصالح، والعبادة، ومحاربة الشرك وتقوى الله عز وجل.

رابعا : التقوى في السنة النبوية الشريفة :

ذكر القرآن الكريم أن التقوى هي وصية الله تعالى لعباده ، ووصية الرسل لأقوامهم وأممهم ، ومنزلة المؤمنين الموقنين . ومثل ذلك ورد في الحديث الشريف ، على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولأنّ استقصاء هذا من الصعوبة بمكان ؛ فيمكن إيراد طرفٍ منه فيما يلي :

١ - كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : (**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**) . (مسلم ، 1415هـ ، 2087/4) (**اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها**) (مسلم ، 1415هـ ، 2088/4)

٢ - "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ، وبمن معه من المسلمين خير . ثم قال : **(اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً)** . (مسلم ، 1415هـ ، 1356/3)

٣ - من وصاياه صلى الله عليه وسلم : (**لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ**) . (مسلم ، 1415هـ ، 407/4))

٤ - التقوى وصيّة النبي صلى الله عليه وسلم لأمّته ؛ إذ قال عليه الصلاة والسلام : (**إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**) . (مسلم ، 1415هـ ، 2098/4)

○ المضامين التربوية للتقوى :

مما سبق يمكن القول : إن المضامين التربوية لـ(التقوى) تتمثل في التالي :

١ - **التربية بالتقوى** ؛ حتى ينشأ الجيل على تقوى من الله ورضوان ، وتتأصل فيهم سمات أهل التقوى ؛ من استقامة ، والتزام بالفضائل التي تقرب إلى الله زلفى .

٢ - **بذل الجهد ؛ لكي يكون المحيط تقيًّا** ؛ بمعنى : أنْ يتمثّل المجتمعُ (التقوى) داخل الأسرة ، وخارجها . وهنا يتأكّد اختيار الصديق ، والخليل . ذلك أن الآيات الكريمة –كما اتّضح من خلال مفهوم التقوى في القرآن الكريم- تُعنى أوّل ما تُعنى بالبررة الأتقياء .

وأوّل ما ينبغي الاهتمامُ به في هذا الشأن : اختيارُ الصديق ؛ لذلك جاء قول الله تعالى : ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾ الزخرف ٦٧

فالصداقة التي "يمتد أثرها الطيب الباقي إلى يوم القيامة ، حتى تكون عنوان فلاح للأخلاّء : هي التي كانت لله . وليس ذلك إلا للمتقين ؛ الذين صفت قلوبهم وصدقت نياتهم" . (الصالح ، 1421هـ ، 196)

وكل خلّةٍ في الدنيا مبنية على الهوى ورغبات النفوس ؛ تكون في الآخرة عداوة يتبرأ في ظلها الأخلاّء بعضهم من بعض . أما الأخلاء في الله : فخلّتهم باقية إلى الأبد ، وينتفع بعضهم من بعض ، ويشفع بعضهم من بعض ، ويتكلم بعضهم في شأن بعض ، وهم المتقون الذين استثناهم سبحانه وتعالى .

٣ - **الحث على الاستمساك بالتقوى ، ولزومها** ؛ فإنّ ذلك مما يورثُ اليقين ، ويرفَع الشّك والرّيب ، ويدفع الشّقاء ، والضّلال ، ويحوّل المحنة إلى منحة . فـ"كل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، فقد سلم من الضلال -بلا شك- ، وارتفع في حقه شقاء الآخرة - بلا شك- إذا مات على ذلك .

وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلاً . ويبين هذا قوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾ الطلاق: ٢

فإن رأيته في شدة فله من اليقين بالجزاء ما يُصَيّرُ المصاب عنه عسلاً . وإلاّ غلب طيب العيش في كل حال . والغالب أنه لا تنزل به شدة إلا إذا انحرف عن جادة التقوى . فأما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه ، ولا بلية تنزل به ، هذا هو الأغلب .

فإن تطرقه البلايا مع التقوى ؛ فذاك في الأغلب لتقدُّمِ ذنب يجازى عليه . فإن قدّرنا عدم الذنب ، فذاك لإدْخَالِ ذَهَبِ صَبْرِه كِيْرَ البلاء ؛ حتى يخرج تبراً

أحمر . فهو يرى عذوبة العذاب ؛ لأنه يشاهد المبتلى في البلاء لا الألم" . (ابن الجوزي ، د.ت ، ص86-87)

٤ - **إشاعة فضائل الأخلاق في المجتمع بالتقوى** . فالمتقون هم : "الذين يعترفون بالحق قبل أن يُشهد عليهم ، ويعرفونه ويؤدونه ، وينكرون الباطل ويجتنبونه ، ويخافون الرب الجليل الذي لا تخفى عليه خافية .

والمتقون يعملون بكتاب الله ، ولا يخونون في أمانة ، ولا يرضون بالذل والإهانة ، ولا يعقون ولا يقطعون ، ولا يؤذون جيرانهم ، ولا يضربون إخوانهم . يَصِلُون من قطعهم ، ويعطون من حرمهم ، ويعفون عن ظلمهم . الخير عندهم مأمول ، والشر من جانبهم مأمون ، ولا يغتابون ، ولا يكذبون ، ولا ينافقون ، ولا يَنِمُّون ، ولا يحسدون ، ولا يقذفون ، ولا يأمرون بمنكر ، ولا ينهون عن معروف ؛ بل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . تلك صفات المتقين حقاً ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٩ (السلمان ، 1416هـ ، ص 579) .

الآثار التربوية للتقوى :

من الآثار التربوية للتقوى :

١ - حُسْنُ التأسِّي بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واتّباعه . فقد كان صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بالتقوى . ومن ذلك : ما ذُكِر عن "أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنْهُ : أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ ، فَقَالَ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِكَ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ" . (ابن حنبل ، 1411هـ ، 297/18) .

٢ - الاستقامة على كلّ حالٍ . فالمتقي لا ينفكّ عنه أثر الموعظة . ذلك أنه قد تعرض للسامع يقظة عند سماع المواعظ ، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة !

أمّا المتقي فقد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا ، وأنصت بحضور قلبه . (ابن الجوزي ، د.ت ، ص 15)

٣ - حظوة المتقين بالمِنَح الرّبّانية التي اختصّهم الله بها . فمن ذلك :

- معيّة الله الخاصّة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ البقرة: ١٩٤ المقتضية للحفظ والعناية والنصر والتأييد .

- محبّته سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ التوبة: ٧ فتحلّ عليهم البركة في أجسادهم ، وأعمالهم ، وسلوكياتهم . وينالون الخيرات العظيمة .

- التوفيق للعلم . قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٢.

- نفي الخوف والحزن عن المتقي المصلح ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأعراف: ٣٥

- الفرقان ؛ عند الاشتباه ووقوع الإشكال ، والكفارة للسيئات والمغفرة للذنوب ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنفال: ٢٩

- المخرج من الشدائد ، والرزق من حيث لا يحتسب . قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣

- التيسير ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ﴾ الطلاق: ٤

- عِظَمُ الأجر ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ ﴾ الطلاق: ٥

- الوعد من الله بالجنة . قال تعالى ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ مريم: ٦١ - ٦٣

- الكرامة عند الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ الحجرات: ١٣. (السلمان ، 1416هـ ، 578-579)

المبحث الثاني

التحذير من فتنة الشيطان

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأعراف: ٢٧

الفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على ابتلاء واختبار. من ذلك الفِتْنة. يقال: فتَنْتُ أفتِنُ فَتْناً. وفَتَنْتُ الذّهبَ بالنّار، إذا امتحنتَه. وهو مفتونٌ وفَتِين. والفَتَّان: الشَّيطان . (ابن فارس ، 1411هـ ، 377/4) .

وسُمِّي الشيطان الفتّانَ ؛ "لأنه يَفْتِن الناس عن الدِّين . بخُدعِه وغُروره وتزيينه المعاصي" . (الأزهري ، 1421هـ ، 213/14) .

وذكر ابن الجوزي أن الفتنة في القرآن الكريم جاءت على خمسة عشر وجهًا . أوجزها بقوله : " الشرك ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ الأنفال: ٣٩ والإضلال ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ آل عمران: ٧ والقتل ﴿ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ النساء: ١٠١ والصد ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ ﴾ المائدة: ٤٩ والضلالة ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ ﴾ المائدة: ٤١ والقضاء ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ الأعراف: ١٥٥ والإثم ﴿ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ ﴾ التوبة: ٤٩ والمرض ﴿ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ ﴾ التوبة: ١٢٦ والعبرة ﴿ لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ ﴾ الممتحنة: ٥

والعفو ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ النور: ٦٣ والاختبار ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ العنكبوت: ٣ والعذاب ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ العنكبوت: ١٠ والإحراق ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ الذاريات: ١٣ والجنون ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ القلم: ٦ قيل في قوله تعالى {﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١ أن المراد : النفي عن البلد الفساد" . (ابن الجوزي ، د.ت ، 479/1) .

وقد فسّر الطبري الآية الكريمة ؛ بقوله : "يا بني آدم، لا يخدعنكم الشيطان فيبدي سوءاتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما، فأخرجهما بما سبَّب لهما من مكره وخدعه، من الجنة، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس، ليريهما سوءاتهما بكشف عورتهما، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترةً" . (الطبري ، 1408هـ ، 373/12) .

فتنة الشيطان في المجال الديني :

إنّ منشأ الفتن كلّها من الشيطان . والمتأمّل في حال المسلمين في واقعنا المعاصر ؛ يرى أثر فتنة الشيطان تتجسّد في نواحٍ كثيرة من حياتهم الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية . ويمكن إيجاز مظاهر هذه الفتنة – في المجال الديني- ؛ في التالي :

1- **انحراف العقيدة .** فلا يكاد يوجد مَنْ هو متمسك بالعقيدة الصحيحة من جميع جوانبها إلا القليل من الناس ؛ فقد انتشرت الخرافات ، والبِدَع ، والشركيّات في كثير من بلاد المسلمين .

2- **عدم تطبيق الشريعة والتحاكم إليها** . فلا يُحكم اليوم في أكثر بلدان المسلمين إلا بأحكام ، وقوانين مستوردة .

3- **عدم الالتزام بأحكام الإسلام** ؛ سواء ما كان منها بين العبد وربه ، أوبين العبد وبين الخلق ؛ فلا يوجد الملتزم بها إلا القليل .

4- **سوء السلوك والأخلاق** ، وثورة الشهوات .

5- **تسلُّط الأعداء على أهل الحق ودعاة الإسلام** ، وإيذاؤهم لهم بأشد أنواع الأذى والنكال .

6- **تمييع عقيدة الولاء والبراء** ؛ حيث أصبح ولاء كثير من الناس وحبهم وبغضهم للدنيا فحسب .

7- **قلة العلم الشرعي** ؛ حيث قلّ أهل العلم الشرعي الصحيح ، وانتشر الجهل ، وكثرت الشبهات ، وقلّ العاملون بالعلم والداعون إليه .

8- **الوقوع في براثن الشهوات** ، والشبهات . وتسويغ ذلك بشبهة شرعية ؛ بسبب غيبة الحق وأهله ، وفشوّ الجهل ، وانفتاح الدنيا بزخرفها على الناس ؛ فلا يكاد يثبت ويستقيم على أمر الله عز وجل إلا القليل الذين يعتصمون بالله ، ويقومون بأمره ، ويدعون إلى سبيله . أما الكثرة الكاثرة الذين ضعف صبرهم ، فتراهم يتنازلون عن دينهم شيئاً فشيئاً أمام ؛ سواء كان ذلك التنازل في العقيدة ، أو السلوك ، أو التزام الأحكام .

9- **فتنة اليأس والقنوط من ظهور الحق وانتصاره** أمام تكالب الأعداء وتمكنهم وتسلُّطهم ؛ مما قد يؤدي بالبعض إلى الشعور باليأس ، والضعف والنقص في دينه شيئاً فشيئاً .

○ المضامين التربوية في مواجهة فتنة الشيطان :

ترتكز المضامين التربوية الدينية في مواجهة فتنة الشيطان ؛ على الأسس والمبادئ التالية :

- رحمة الملائكة وفتنة الشياطين :

إذا كانت الملائكة هم جُند الله الذين يمثلون الخير والفلاح والصلاح ؛ فإن إبليس ومن معه من الشياطين هم أعداء الله الذين يمثلون الشر والفساد . فأعمال الملائكة والشياطين على طرفَيْ نقيض ؛ إذ إن أعمال الملائكة تتجه أول ما تتجه إلى عبادة الله ، وترقية الحياة ، وتنظيم أمر هذا الوجود ، وإقامة معالم النظام . وهى تعمل دائمًا على التأليف ، والتجميع ، ودلالة الإنسان إلى الحق ، ودعاء الله أن يغفر له سيئاته ويحفظه منها . ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ ﴾ غافر: ٧ - ٩

أما أعمال الشياطين فهي تتجه دائمًا إلى التمرد على الله تعالى ، وإلى التفريق والتمزيق والتخريب والتدمير ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ووصل ما أمر الله به أن يُقطع ، فما من شرٍّ في الأرض ولا فساد في الوجود ، إلا ولهم به صلة :

فهم الذين زينوا للأمم السابقة سوء العمل، وحسنوا لهم الكفر والمعاصي، ودعوهم إلى تكذيب الرسل ومخالفة أوامر الله، ولا تزال هذه أعمالهم . ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾

النحل: ٦٣

وعن عياض المجاشعى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته: (**أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِى هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلاَلٌ ، وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بى مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِىَ بِكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيَقْظَانَ**) (مسلم ، 1415هـ ، 158/8)

فالشياطين هي التي دعت إلى تحريف الدين، والخروج على الفطرة ، وإلى الإشراك بالله ، وحرمت الحلال، وأحلت الحرام .

- الشيطان يقعد للإنسان كلّ مرصَدٍ :

فلا يزال الشيطان تقعد للإنسان بكل طريق صادًّا له عن سبيل الله ، ومحاولاً صرْفَهُ عن جلائل الأعمال .

ففي حديث سبرة بن فاكه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق : فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم، وتترك دينك ودين آبائك ؟ فعصاه، وأسلم.. ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر ؟ أتدع**

أرضك وسماءك ؟ فعصاه وهاجر.. ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال، فتقاتل، فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك ؟ فعصاه وجاهد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن فعل ذلك، فمات، كان حقًا على الله أن يدخله الجنة) (النسائي ، 1416هـ ، 21/6)

- الشيطان حربٌ على دين الإسلام :

فالشيطان هو الذى قام بدور رئيس في محاولة القضاء على دعوة الإسلام عند أول صدام له مع أعدائه ، في معركة (بدر) قال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال: ٤٨

- الشيطان يزيّن الشبهات والشهوات :

فالشيطان هو الذي يزين لكل فرد ما تهفوا إليه نفسه ، ويميل إليه هواه ؛ مِن حُبٍّ للجنس ، أو طمعٍ في المال ، أو حرصٍ على المنصب ، أو تطلُّعٍ إلى الجاه ، أو إيثارٍ للاستبداد ، أو ميلٍ إلى الطغيان.. بل إنه ليتسلّط على المتدينين أنفسهم ، ليزيدوا في شرع الله ، أو ينقصوا منه ، ليطوِّعوا الدين لأهوائهم ، ويخضعوه لشهواتهم .

- الشيطان مصدرُ كلِّ شرٍّ :

فهو الذي يغرى العداوة والبغضاء بين الناس ، فيفرق بين الأخ وأخيه ، وبين الزوج والزوجة ، وبين طوائف الأمة وجماعاتها .

وهو الذي يوقد نيران الحروب بين الأمم والشعوب، وينفخ فيها لتهلك الحرث والنسل، وتأتى على الأخضر واليابس.

وكلما كان الشيطان أقدر على الشر كان أقرب منزلة وأعلى قدرًا لدى رئيسه إبليس لعنه الله .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً.. يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**) (مسلم ، 1415هـ ، 138/8)

إن الفساد الجنسى ، والفساد الخلقى ، والفساد الاجتماعى ، والفساد السياسى ، والفساد الاقتصادى . وكل ما يعانيه بنو البشر من فتن وويلات ، إنما هو من نتاج إبليس وجنوده الأشرار .

- كل إنسان معه شيطان :

كما أمدَّ اللهُ الإنسانَ بمَلَكٍ يهديه ، ويؤيده.. فإنه كذلك يبتليه بشيطان يوسوس له ، ويزين له السوء ، ويغريه بالمنكر ، ويدعوه إلى الفتنة . يستوي فى ذلك الأنبياء وغيرهم . قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام: ١١٢

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: خرج النبى صلى الله عليه وسلم من عندى ليلاً، فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: (**مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ، أَغِرْتِ ؟**) قلت: وما لى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال: (**أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ ؟**) قلت: يا رسول الله، أومعي شيطان ؟ قال: (**نَعَمْ**) قلت : ومع كل إنسان شيطان ؟ قال :

(**نَعَمْ**) قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : (**نَعَمْ ، وَلَكِنْ رَبِّى أعَانَنِى عَلَيْهِ حَتَّى أسْلَمَ**) (مسلم ، 1415هـ ، 139/8)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (**مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ**) قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: (**وَإِيَّايَ ، إلاَّ أنَّ اللَّهَ أعَانَنِى عَلَيْهِ فَأسْلَمَ ، فَلاَ يَأْمُرُنِي إلاَّ بِخَيْرٍ**) (مسلم ، 1419هـ ، 139/8)

- الإعراض عن هداية الله يمكّن للشيطان :

فالشيطان لا يتمكن من نفس الإنسان إلا إذا أعرض عن هداية الله ، وخرج عن المنهج المرسوم .

فإذا أعرض الإنسان عن الطريق المرسوم له ، عاقبه الله بتمكين الشيطان منه ، فيوجهه وجهة الشر والفساد في كل قول وفي كل فعل . قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ **الزخرف: ٣٦ - ٣٩**

ومع التمادي في الغيّ والضلال ، يستحوذ الشيطان على النفس الإنسانية ، ويستولى عليها استيلاء كاملاً ، حتى يبلغ الإنسان أن يكون جنديًا لإبليس ، أو عضوًا في جماعة الشياطين . قال تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

الشعراء: ٩٤ - ٩٥

وقال تعالى :﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ المجادلة: ١٩

وحين يصل الإنسان إلى هذا المستوى، ويهبط إلى هذا الدرك ، تختلّ لديه المقاييس ، وتضطرب الموازين ، وتلتبس الحقائق ، ويعلو سلطان الباطل، وتسود شريعة الغاب ، ويتعادى الناس تعادى الحيوانات المفترسة ، ويصبح الإنسان أداةً من أدوات الشر والفساد ، وعاملاً من عوامل الهدم والتخريب . بل يصل الإنسان إلى الحالة التى يتبرأ الشيطان فيها منه . قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحشر: ١٥ - ١٦

- تحذيرُ الله جلّ وعلا من فتنة الشيطان ، وعداوته :

بما إن الشيطان يمثّل الشر في الأرض، ويعمل دائبًا على تدمير حياة الإنسان بزحزحته عن هداية الله ، وإبعاده عن منهج الحق والرشاد ؛ لهذا فقد حذرنا الله من كيده، وأخبرنا بعداوته ، ودعا إلى مقاومته بكل وسيلة حتى يضعف سلطانه ، وتخف شروره وآثامه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ فاطر: ٦

وقص – سبحانه - علينا من عداوته لأبينا آدم عليه السلام ما فيه العظة البالغة، فقد استطاع أن يُغْريه بالأكل من الشجرة، وأن يخرجه من الجنة بكذبه وخداعه، وأن يوقعه فى مخالفة أمر الله وارتكاب نهيه، ثم قال - تعالى –

عقب ذلك : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأعراف: ٢٧

وبيّن للإنسان ما أخذه الشيطان على نفسه منذ خصومته لآدم ، أنه سيقعد على الصراط المستقيم يغوى الناس ويضلهم : ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞ ﴾ الإسراء: ٦٢ - ٦٥ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧

وكان حكمه هذا ظنًّا وقد تحقق في بعض الأمم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سبأ: ٢٠ وقال تعالى : ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ

وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ النساء: ١١٧ - ١٢٠

ويعلّمنا – سبحانه- أن الشيطان جادّ في إلقاء خواطر السوء، ومهتم بتقوية دواعي الشر والباطل فى النفس الإنسانية . قال تعالى : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾البقرة: ٢٦٨ أي : إن الشيطان يوسوس للإنسان، ويلقي في نفسه بأن الإنفاق يذهب بالمال ، ويأمره بالإمساك والبخل والحرص على المال ، ومنع الزكاة ؛ ومِنْ ثَمّ كان من الواجب الحذر منه ، واتقاء شروره وآثامه . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ البقرة: ١٦٨ - ١٦٩

ومِنْ أبلغ ما ذكره القرآن الكريم في الترهيب من متابعة الشيطان ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَا ﴾الأنعام: ١٢٨

أي : إن الله يقول يوم الحشر للجن وقد استكثرتم من إغواء الإنس، وقال أتباعهم من الإنس: ربنا استمتع بعضنا ببعض، أي : استمتع الجن بالإنس حيث قادوهم، وأخضعوهم لسلطانهم، فكانت لهم لذة السيطرة ومتعة الرياسة، واستمتع

الإنس بالجن، حيث زينوا لهم الشهوات أو دلوهم عليها، واستمر هذا الاستمتاع حتى بلغو الأجل المقدّر لهم.

وفى مشهد من مشاهد القيامة يميز الله فيه المجرمين، ويوجه إليهم الخطاب ناعيًا عليهم طاعتهم للشيطان وعبادتهم له. قال تعالى : ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يس: ٥٩ - ٦٢

وفى مشهد آخر من مشاهد القيامة يخطب الشيطان في أتباعه موقعًا اللوم عليهم فى ضلالهم ومتابعتهم له . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٢

لهذا كان التقريع الربّاني ، والتوبيخ الإلهي لكلّ من اتبع سُبُل الشياطين ، ووقع في فتنتهم . في قوله تعالى :﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ ﴾الكهف: ٥٠

- لا سلطان للشيطان على المؤمن :

والإيمان يفيض على النفس إشراقًا، ويملأ القلوب نورًا، وإذا أشرقت النفس واستنار القلب، انمحى كل ما يوسوس به الشيطان . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ النحل: ٩٨ - ١٠٠

وإذا ألمَّ بالقلب الموصول بالله من مس الشيطان شيء، فسرعان ما يستيقظ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠١

وإذا ما زلّ المؤمنُ ، فاستجابَ لشيطانه ؛ فسرعان ما يلجأ بالتوبة والإنابة إلى الله ، فيتغلب جانب الخير على جانب الشر . ومتى تغلب جانب الخير على جانب الشر في نفس الإنسان، تعرّض لهداية الله ، وكان أهلاً للاجتباء والاصطفاء. فالإنسان لم يُخلق ملكًا منزهًا عن النقائص ، وإنما خُلق وعنده استعداد للبر والإثم ، والصواب والخطأ، والخير والشر، والطاعة والمعصية، والتقوى والفجور. قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ الشمس: ٧ - ٨

والإنسان بمقتضى خلافته عن الله فى الأرض مكلف بأن ينمي في نفسه معاني البرّ، والصواب، والخير، والطاعة، والتقوى؛ وأن يقاوم نوازع الإثم، والخطأ، والشر، والفجور، حتى يبلغ الكمال الروحي الذي أراده الله له.

- مقاومة فتنة الشيطان :

إن الله لم يذكر في القرآن النفس الأمارة بالسوء، ولا النفس اللوامة إلا مرة واحدةً ؛ ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه في صور متنوعة ، وما ذلك إلا ليكون الإنسان منه على حذر ، كي لا يضل ، ولا يشقى . ذلك أن عمل الشيطان فى النفس مثل عمل الميكروب فى الجسم، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولاً القضاء عليه والفتك به، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب إلا إذا كانت له حصانة، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب، وتقضى على ضراوته.

- مداخل فتنة الشيطان :

إنّ الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومرضها، فيهجم عليها محاولاً إفسادها . ولا خلاص منه إلا إذا صحت النفس من أمراضها ، التي هي المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته . ومن أمراض النفس التي هي مداخل لفتنة الشيطان – على سبيل المثال لا الحصر - : الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغى، والجحود، والكنود، والعجلة، والطيش، والسفه، والبخل، والشح، والحرص، والجدل، والمراء، والشك، والريبة، والجهل، والغفلة، واللَّدَد فى الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والعناد، والطغيان، وتجاوز الحدود، وحب المال، والافتتان بالدنيا..

فهذه هي أمراض النفس، وبواسطتها يتدخل الشيطان ليدمر حياة الإنسان، وليزحزحه عن فضائله العليا . ولا سبيل إلى طرده ومعالجة وسوسته وإغرائه إلا إذا عولجت النفس أولاً عن طريق المجاهدة ؛ حتى تبرأ من هذه الأمراض جميعها، وتعود إليها الصحة والعافية ، وتكون نفسًا مطمئنة بالحق والخير .

○ الآثار التربوية لمواجهة فتنة الشيطان :

يمكن إيجاز هذه الآثار في النقاط التالية :

- **الحياة المطمئنّة السعيدة** . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧

على خلاف من أغواه الشيطان ، وصرفه عن ذكر الله . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ طه: ١٢٤ وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦

- **صدق المناجاة** ، وحلاوة القرب من الله جلّ وعلا . قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨

- **صفاء العقيدة** ، ونقاؤها . وصلاح الظاهر والباطن . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ التغابن: ١١

- **البُعْدُ عن الشرور والآثام** . قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ الحجر: ٤٢

المبحث الثالث

الزينة عند العبادة

قال تعالى : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١

"الزينة : ما يحصل به التحسين للشيء ؛ حتى تتوق النفس إليه بالشهوة

وذكر بعض المفسرين أن الزينة في القرآن على خمسة أوجه :

أحدها : الحُسن . ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ البقرة: ٢١٢ ، وفي آل عمران : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِ ﴾ آل عمران: ١٤ ، أي : حُسِّن . وفي المُلك : ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ الملك: ٥ .

والثاني : الحلي . ومنه قوله تعالى في طه : ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا ﴾ طه: ٨٧.

والثالث : الزَّهرة . ومنه قوله تعالى في يونس : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يونس: ٨٨ ، وفي الكهف . ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الكهف: ٤٦

والرابع : الحَشَمُ . ومنه قوله تعالى في القصص :﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ القصص: ٧٩ .

والخامس : الملابس . ومنه قوله تعالى في الأعراف : ﴿ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الأعراف: ٣١ ، وذلك أن الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فقيل : خذوا ملابسكم عند كل صلاة" . (ابن الجوزي ، د.ت ، 339/1)

○ المضامين التربوية لاتخاذ الزينة عند العبادة :

سبب نزول هذه الآية ؛ عن ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة . فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الأعراف: ٣١ فأمروا بلبس الثياب . (الواحدي ، 1388هـ ، 151/1) .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : " هو خطاب لجميع العالم، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عريانا، فإنه عام في كل مسجد للصلاة ؛ لأن العبرة للعموم لا للسبب" . (القرطبي ، 1427هـ ، 189/7) .

وتتمثّل المضامين التربوية لاتخاذ الزينة عند العبادة في التالي :

- **الخروج إلى الصلاة في المساجد على أطيب حالٍ** ، وأحسن هيئة . مع التنظف، والتطيب، وترجيل الشعر، وتجنب الأطعمة والأشربة ذات الروائح الكريهة، كالبصل، والثوم، والكراث، والدخان ، ونحو ذلك ؛ حتى لا يؤذي الملائكة ولا إخوانه المصلين .

قال صلى الله عليه وسلم : (**إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلاَةِ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**) (مسلم ، 1415هـ ، 100/2)

وقال صلى الله عليه وسلم في الثوم : (**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهَا**) (مسلم ، 1415هـ ، 79/2) .

- **لبس أجمل الثياب ، وأحسنها حال الصلاة والعبادة** : قال صلى الله عليه وسلم : (**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ - إِنْ كَانَ عِنْدَهُ - ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلَمْ يَتَخَطَّ أَعْنَاقَ النَّاسِ ثُمَّ صَلَّى مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلاَتِهِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ جُمُعَتِهِ التي قَبْلَهَا**) (مسلم ، 1415هـ ، 79/2) .

○ الآثار التربوية لاتخاذ الزينة عند العبادة :

لاتخاذ الزينة عند العبادة آثار تربوية كثيرة ؛ منها :

-**الاستجابة لأمر الله تعالى ؛ بأخذ الزينة** ؛ التي من معانيها (الجمال) وهو ما يحبّه الله تعالى . قال صلى الله عليه وسلم (**إن الله جميل يحب الجمال** ..) (مسلم ، 1415هـ ، 65/1)

- **الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ** ؛ حيث قال ﷺ : (**إذا صلى أحدكم فليلبس ثوبيه، فإن الله أحق من يُتزينُ له**) (الألباني ، 1405 هـ ، 356/3)

وقال ذات يوم وهو على المنبر يوم الجمعة : (**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته**) (ابن ماجه ، 1415 هـ ، 348/1)

- **المحافظة على طهارة المساجد ، ونظافتها** . وفي ذلك استشعار قدسيّتها.

- **إشاعة النظافة والطهارة** ؛ اللتان هما من مميزات دين الإسلام ، وشعار المسلمين .

- **نظافة الثياب ، وحُسْن المظهر من علامات المروءة** . روى وكيع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (**من مروءة الرجل نقاءُ ثوبه**) (السفاريني ، 1423هـ ، 202/2)

- **نظافة الظاهر دليلٌ على نظافة الباطن** . وهذا من الأمور المحسوسة المشاهَدة .

المبحث الرابع

الاستجابة للرسل

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾ الأعراف: ٣٥

في هذه الآية الكريمة إنذارٌ ، وبشارة . فأما الإنذار فهو أن الله تعالى أنذر بني آدم بأنه سيبعث إليهم رسلاً يقصون عليهم آياته ، ابتلاءً منه واختبارًا . وأما البشارة ؛ فإن من استجابَ لهم بفعل الطاعات ، وترك المحرّمات ؛ نال السعادة في الدارين . (ابن كثير ، 1407 هـ ، 2/ 120) .

○ المضامين التربوية للاستجابة للرسل :

من المضامين التربوية للاستجابة للرسل :

- **معرفة قدْر الرُّسل ، وعظيم مكانتهم عند الله تعالى** : فقد قرن الله تعالى طاعتَه بطاعتهم ؛ بل ساوى بين الطاعتين ؛ قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٦٤

- **الاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم** : رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات ، وهي في الوقت ذاته ناسخة لها ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ المائدة: ٤٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي) (ابن حنبل ، 1411هـ ، 349/23) فالاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم هي في الحقيقة استجابةٌ لجميع الرسل عليهم السلام .

- **الحياة على منهج النبي صلى الله عليه وسلم** : فنبيّنا عليه الصلاة والسلام بُعِثَ في قومٍ كانتْ حياتُهم ميسرًا ، وقمارًا ، وخمرًا ، وعبادة أوثان ، وغاراتٍ متتالية ، ونزاعاتٍ لا تكاد تنتهي . حياةٌ كلّها ظلمات . فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور . وتبدَّلت حياتُهم من شقاءٍ إلى سعادةٍ ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن عبادة الهوى إلى عبادة الله تعالى ، ومن الخضوع للأحجار والأشجار والكواكب إلى السجود له عزّ وجلّ ، والخشية منه . ومن العبث ، والتيه والضياع ، إلى حياةٍ مستقرّةٍ آمنةٍ ، ومعرفةٍ للغاية والمصير .

- **اقتفاء أثر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين** : فهم خير جيل مرّ في تاريخ البشرية . استجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا مضرب في السمع والطاعة ، واتباع الأوامر ، واجتناب النواهي . والانقياد لأمر الله ورسوله في كلّ ما يأتون ، وما يذرون . فأصبحوا قادة العالم ، وسادة الدنيا . (الزحيلي ، 1418 هـ ، 197/8) .

○ الآثار التربوية للاستجابة للرسل :

من الآثار التربوية للاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم :

- **حياة القلوب ، ونورها :** ففي الاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حياةُ القلوب ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾الأنفال: ٢٤

وقد شبه الله المستجيب لنداء الله ورسوله بالحي ، والذي لا يستجيب بالميت ، كما قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

الأنعام: ٣٦

والحياة في هذه الآية حياة إنسانية كاملة ، وليست حياة بهيمية لا تدرك من حقيقة وجودها في هذا الكون شهواتها وملذاتها .

وقال تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ﴾ الأنعام: ١٢٢

<u>الاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبب من أسباب إجابة الدعاء</u> :

فهي طريق لرضا الله تعالى ؛ فبتحقُّق الإيمان وامتثال أوامر الله جعلها الله تعالى شرطًا من شروط إجابة الدعاء ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى ﴾ البقرة: ١٨٦

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا)** . قَالُوا : إِذَنْ نُكْثِرُ . **(قَالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ)** (ابن حنبل ، 1411هـ ، 214/17)

<u>المستجيب جزاؤه الجنة :</u> فالناس على قسمين : قسم مستجيب لربه ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فهؤلاء ينالون جزاؤه الحسنى . وقسم غير

مستجيب ؛ فجزاؤه النار . قال الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾الرعد: ١٨

ـ الاستجابة فيها كمال العقل : قال الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾القصص: ٥٠ فالرشد والهداية في الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ـ في الاستجابة قبول الأعمال : قال تعالى : : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾محمد: ٣٣، أي : أن من لا يطيع الله والرسول؛ فإن أعماله كلها سوف تذهب سدى .

الفصل الرابع

المضامين التربوية الأخلاقية في آيات النداء لبني آدم في سورة الأعراف

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : **اللباس .**
- المبحث الثاني : **ستر العورة .**
- المبحث الثالث : **النهي عن الإسراف .**

المبحث الأول

اللباس

قال تعالى : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ **الأعراف: 31**

أولاً : تعريف اللباس :

اللّبَاسُ – بالكسر- : ما يُلبَس (الرازي ، د.ت ، ص 590)

وقال ابن عرمة : اللباس من الملابسة ؛ أي : الاختلاط ، والاجتماع (الزبيدي ، 1410 هـ ، 410/1)

وقال ابن حجر : هو أن يجعل ثوبه على أحد عاتقيه فيبدو أحد شِقَّيْهِ (ابن حجر ، د.ت ، 477/1) .

ثانياً : حكم اللباس :

الأصل فيه الإباحة ؛ فإن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام أمره أن يسكن الجنة وقال له : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ ﴾ طه: ١١٨

والحديث عن حكم اللباس يستدعي التفصيل ؛ بحسب الحاجة ، والهيئة ، والغرض . وذلك على النحو التالي :

١ ـمن اللّباس ما قد يكون واجباً :

وهو : ما يستر العورة ، ويقي الجسمَ الحَرّ ، والبرد . قال تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ الأعراف: ٣١

وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ ﴾ النحل: ٨١.

2- ومنه ما قد يكون مندوباً :

وهو : ما يحصل به إظهار النعمة ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى: ١١.

وعن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ فِى ثَوْبٍ دُونٍ فَقَالَ : (**أَلَكَ مَالٌ ؟**) قَالَ : نَعَمْ . قَالَ (مِنْ أىِّ المَالِ ؟) قَالَ : قَدْ آتَانِىَ اللَّهُ مِنَ الإِبِلِ ، وَالْغَنَمِ ، وَالْخَيْلِ ، وَالرَّقِيقِ . قَالَ : (**فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ**) (مسلم ، 1415 هـ ، 90/4) .

3- ومنه ما هو مباحٌ :

وهو : الثوب الجميل ؛ للتّزيُّن ، خاصّةً في الجُمَع والأعياد ، ومجامع الناس .

روتْ عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خطب يوم الجمعة ، فرأى عليهم ثياب النِّمَار ، فقال رسول الله ﷺ : (**ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته ، سوى ثوبي مهنته**) (ابن ماجه ، 1415 هـ ، 349/1) .

وثياب النِّمَار : من "النَّمِرَةِ" -بفتح النون وكسر الميم- : كساءٌ فيه خطوط بيضٌ وسودٌ ، تلبسه الأعراب . قال ابن الأثير: والجمع "نِمَارٌ" . (الفيومي ، د.ت ، 322/1) .

4- ومن اللباس ما قد يكون حرامًا :

وحرمتُه قد تختصّ بالرجال فقط ، أو تشمل الرجال والنساء .

أ- **فمن اللّباس المحرَّم على الرّجال** : لُبس الحرير والديباج .

إذْ إنّ لبسه وافتراشه حرامٌ على الرجال ؛ لما رَوى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**) (مسلم ، 1415 هـ ، 142/6)

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : "نَهَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ" . (البخاري ، 1411هـ ، 526/14)

والحكمة من تحريمهما على الرجال : ما تُورثُه في النفس من الفخر والخيلاء ، والعُجْب . ولما في ملابستهما للبدن من الرّقة التي قد تُكسِب القلب صفةً من صفات الأنوثة ، ولذا خص الشارع النساء بها .

ب- **ومن اللّباس المحرّم على الرجال والنساء معاً** : لُبْس الرجل ما يختصّ بالمرأة من ملابس ، ولبس المرأة ما يختص بالرجال من ملابس ؛ على سبيل التشبُّه من الطرَفين . فقد لعنَ رسولُ الله ﷺ : (**الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**) (ابن حنبل ، 1411هـ ، 243/5)

ومن العلماء من قال بكراهته . وبعد أن سرد النووي –رحمه الله- أقوالهم، قال : "الصواب أن تشبه النساء بالرجال وعكسه حرام) (النووي ، د.ت ، 125/2) .

ومن المُحرّم في اللباس : البنطلون الضيّق ، والعباءة الضيقة ؛ لمخالفتها لهدي الشارع في اللباس . وكذلك لُبس السَّرَف والخيلاء والكبر والعجب بالنفس . الذي جاء فيه قول الرسول ﷺ : (**مُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**) (البخاري ، 1411هـ ، 200/9)

وفي رواية : (**لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**) (البخاري ، 1411هـ ، 456/14)

وفيه دلالةٌ على حُرمة الفخر والخيلاء ، والبطر ؛ بصفة عامّة ، سواء أكان ذلك في اللباس ، أم في الكلام ، أم الحركة ، أم غير ذلك .

ومن المُحرَّم كذلك : لباس الشهرة . لقوله ﷺ رَوى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) (ابن حنبل ، 1411هـ ، 363/10)

وكذلك : اللباس الفاخرُ كثير التّكلفة ، الذي قد لا يتجاوز لبسه المرة الواحدة ، والذي تلبسه بعض النساء في المناسبات . فهو مع ارتفاع ثمنه قد لا يُلبَسُ إلا مرّةً واحدةً ، وهذا فيه من الإسراف ما هو ظاهر ، خاصة إذا لم يُلبس ويُستفاد منه . قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ** ﴾ الأعراف: ٣٢ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**) وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما - : "كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ

اثْنَتَانِ سَرَفٌ أوْ مَخِيلَةٌ" . (البخاري ، 1411هـ ، 447/14)

ومن ذلك : إطالة الثياب والرداء وما أشبههما إلى أن يتجاوز الكعبين بالنسبة للرجال ؛ لما رَوى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (**مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**) (البخاري ، 1411هـ ، 454/14)

هذا بالنسبة للرجال ، أما المرأة فلها إرخاء الرداء حتى يتجاوز قدميها ؛ لما روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنّ رسول الله ﷺ رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ أَنْ يُرْخِينَ شِبْرًا ، فَقُلْنَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِذَنْ تَنْكَشِفَ أَقْدَامُنَا . فَقَالَ : (**ذِرَاعًا وَلَا تَزِدْنَ عَلَيْهِ**) (ابن حنبل ، 1411هـ ، 79/10)

وكذلك : جاء النهي عن استعمال جلود السباع ؛ لأنها نجسه ، ولأنها تورث الشهرة والخيلاء والعجب بالنفس لمستعملها .

وكذلك : اللباس الذي فيه تشبُّهٌ بغير المسلمين . قال ﷺ : (**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**) (النسائي ، 1416 هـ ، 78/4) .

وهناك أصنافٌ وأنواعٌ أخرى من المحرّمات في اللباس ؛ مثل : أن يصف جسد المرأة ، والرجل . أو يُبرز مفاتن المرأة ، أو يصِف العورة . أو أن يكون شفّافًا ...الخ .

○ المضامين التربوية للباس :

اللباس نعمةٌ من نعم الله تعالى ، امتنّ بها على عباده . وشَرَعَهُ لهم ؛ ليكون ستراً لعوراتهم ، وجمالاً لأبدانهم ، بدلاً من التعري الذي تنفر منه النفوس السليمة والعقول النيّرة . قال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ... ﴾

الأعراف: ٢٦.

- بيّن –سبحانَه- أنّه أحلّ لعباده التجمُّل والاستمتاع بما حَسُنَ من الثياب ، وما طاب من الرزق . وفي هذا ردٌّ على الذين يؤثرون الثياب المرقّعة الخشنة ، ويحرّمون على أنفسهم المُتعة بالحلال ، وقد قال رسول الله ﷺ : (**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**) (مسلم ، 1415 هـ ، 65/1) .

- المسلم مأمور بالتوسُّط ؛ وذلك بأنْ يعتدلَ فلا يسرف ولا يبخل ، فهما خصلتان مذمومتان . قال ابن عابدين عن التوسّط في اللباس : "يلبس بين النفيس والخسيس ؛ إذْ خيْرُ الأمور أوسَطُها" . (القليوبي ، 1415 هـ 301/1) قال النووي : "يستحبّ ترْك الترفُّع في اللباس تواضُعًا ، ويستحبّ أن يتوسّط فيه ، ولا يقتصر على ما يُزْدَرَى به لغير حاجة ولا مقصود شرعي". (النووي ، د.ت ، 391/4) .

- من المعلوم أنّ المرء يحبُّ أن يكون حسَن الثّوب ، جميلَ الهيئة ، وليس ذلك بالكِبْر المنهيّ عنه ، فقد قال ﷺ : (**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**) قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً . قَالَ ﷺ : (**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ؛ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**) (مسلم ، 1415هـ ، 65/1)

- إنّ في النهي عن لبْس العُجب ، والشهرة ، والكِبْر ، والخيلاء ، وما شابه ذلك ؛ تحذيرٌ للمسلم منها ؛ ومن عواقبها الوخيمة ؛ فهي تؤدي إلى الخسارة والهلاك ، وتُنذِرُ بمصير الظالمين المتكبّرين ، فقد خسف الله بقارون وبداره الأرضَ ؛ عقابًا له على التكبُّر والتعاظُم ، والعُجْب بالنّفس، وإنكار فضْل الله عليه في النعمة . قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ

○ الآثار التربوية للباس :

ليس من الكبر والخيلاء والسرفِ لبسُ الثياب الحسنة الجميلة والنظيفة ؛ إذا لم يصْحب ذلك كبر وعجب وإسرافٌ ، فذلك أمرٌ يحبه الله ، فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ : (**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**) قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ : (**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ؛ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**) (مسلم ، 1415 هـ ، 65/1)

ولعلّ التشبُّه بغير المسلمين في لبس الملابس الضيقة ، أو الخفيفة الشفّافة، وكذلك تصفيف الشعر ، أو أدوات الزينة ؛ أو تقليد الكُفّار مما يدخلُ تحت قوله ﷺ : (**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**) (مسلم ، 1415 هـ ، 155/8) .

ففي هذا الحديث الشريف دليلٌ من دلائل نبوّته ﷺ ، وإخبارٌ بحال بعض نساء هذا الزمن . وإنّ هذا الوعيد الشديد مما يدعو إلى إيلاء أمر اللباس غاية الاهتمام ؛ فتُربّى أجيالنا على التزام السمت الإسلامي في اللباس ، وفي سائر المظاهر ، والأفعال ، والأقوال السلوكية .

والتشبُّه المقصود هنا لا يقتصر على اللّباس فحسب ، وإنما يشمل كافّة ما يقع فيه التشبُّه ؛ ظاهرًا ، أو باطنًا . وما أحسن قول "المناوي" –رحمه الله- : (قد يقع التشبه في أمور قلبية ؛ من الاعتقادات ، وإراداتٍ . وأمور خارجية ؛ من أقوال ، وأفعال قد تكون عبادات ، وقد تكون عاداتٍ ؛ في نحو : طعامٍ ، ولباسٍ ،

ومسكنٍ ، ونكاحٍ ، واجتماعٍ ، وافتراقٍ ، وسفرٍ ، وإقامةٍ ، وركوبٍ ، وغيرها .

وبين الظاهر والباطن ارتباط ومناسبة ، وقد بعث الله المصطفى ﷺ بالحكمة التي هي سُنّة ، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له ؛ فكان مما شرعه له من الأقوال والأفعال : ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين ، فأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر في هذا الحديث ، وإن لم يظهر فيه مفسدة ؛ لأمور ؛ منها :

- أن المشاركة في الهَدْي في الظاهر تؤثّر تناسُبا وتشاكُلًا بين المتشابهَيْن تعود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال ، وهذا أمر محسوس ؛ فإن لابِسَ ثياب العلماء مثلًا يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، ولابِس ثياب الجُند المقاتلة مثلًا يجد من نفسه نوع تخلّق بأخلاقهم ، وتصير طبيعته منقادةً لذلك ؛ إلا أن يمنعه مانع .

- أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينةً ومفارقةً توجب الانقطاعَ عن موجبات الغضب ، وأسباب الضلال ، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان .

- أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرًا بين المهديّين المرضيّين ، وبين المغضوب عليهم والضالين .

...إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمة التي أشار إليها هذا الحديث ، وما أشبهه" . (المناوي ، 1356 هـ ، 135/6) .

المبحث الثاني

ستر العورة

قـــال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ **الأعراف: 27**

أوّلاً : تعريف السّتْر ، والعورة :

ستر العورة مكوّنٌ من كلمتين . وفي ما يلي تعريفٌ لكلٍّ منهما :

تعريف الستر :

قال ابن فارس : "السين والتاء والراء كلمةٌ تدلُّ على الغِطاءِ . تقولُ : سترت الشيء ستراً . والسُّتْرَة : ما استترت به ، كائناً ما كان . وكذلك السِّتَار . فأمَّا الإستار، وقولُهم إستار الكعبة ، فالأغلبُ أنه من السِّتْر ، وكأنَّه أراد به : ما تُستَر به الكعبة من لباسٍ" . (ابن فارس ، 1411هـ ، 132/3)

تعريف العورة :

لغةً :

هي : "الخَلَلُ في الثَّغْرِ وغيرِهِ ، وكلُّ مَكْمَنٍ لِلسَتْرِ . والسَّوْءَةُ ، والساعةُ التي هي قَمِنٌ من ظُهورِ العَوْرَةِ فيها ؛ وهي ثلاثٌ : ساعةٌ قبلَ صلاةِ الفجرِ ، وعند نِصفِ النهارِ ، وبعدَ العَشاءِ الآخرةِ . و: كلُّ أمْرٍ يُستَحْيا منه" . (الفيروز آبادي ، 1403هـ ، 573/1) .

"وقال الليث العورة سوءة الإنسان ، وكل أمر يُستحيا منه فهو عورة ، والنساء عورة " . (الأزهري ، 1421 هـ ، 110/3)

"والفرْج: العورة". (الجوهري ، 1404هـ ، 356/2) والعورة أيضًا : "كلّ شيء يستره الإنسان أنفة وحياء فهو عَوْرَةٌ" . (الفيومي ، د.ت ، 226/1)

وسميت العورة بذلك ؛ لقبح ظهورها ، ولغض الأبصار عنها ، ومنه عور العين . والكلمة العوراء : القبيحة .

اصطلاحًا :

العورة عند الفقهاء : "ما يحرم كشفه من الرجل والمرأة فهو عورة" . (الموسوعة الفقهية الكويتية ، 1410هـ ، 173/24)

وذكر بعض المفسرين أن العورة في القرآن على وجهين :

أحدهما : العورة المعروفة من بني آدم التي أمر بسترها . ومنه قوله تعالى في النور : ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾النور: ٣١

والثاني : الخلوة . ومنه قوله تعالى في النور : ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾النور: ٥٨ أي : ثلاث أوقات خلوة . وفي الأحزاب : ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾الأحزاب: ١٣ أي : خالية من الرجال .

وتطلق العورة على ما يجب ستره في الصلاة ، وإن اختلفَ الفقهاء في تحديد العورة ؛ إلا أنهم جعلوا ستر العورة شرطاً من شروط الصلاة . (الموسوعة الفقهية الكويتية ، 1410 هـ ، 175/24)

ثانيا : المضامين التربوية لستر العورة :

أولاً : ستر العورة عمن لا يحل له النظر :

- اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ سَتْرَ الْعَوْرَةِ مِنَ الرَّجُل وَالْمَرْأَةِ وَاجِبٌ عَمَّنْ لاَ يَحِل لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهَا . وَمَا يَجِبُ سَتْرُهُ فِي الْجُمْلَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ جَمِيعُ جَسَدِهَا عَدَا الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلأَجْنَبِيِّ .

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِمَحَارِمِهَا مِنَ الرِّجَال فَعَوْرَتُهَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ مَا عَدَا الْوَجْهَ وَالأَطْرَافَ (الرَّأْسَ وَالْعُنُقَ) . وَضَبَطَ الْحَنَابِلَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ مَا يُسْتَتَرُ غَالِبًا وَهُوَ مَا عَدَا الْوَجْهَ وَالرَّأْسَ وَالرَّقَبَةَ وَالْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ . وَقَال الْحَنَفِيَّةُ : مَا عَدَا الصَّدْرَ أَيْضًا . وَقَال الشَّافِعِيَّةُ : مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ ، كَمَا أَنَّ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ الَّتِي يَجِبُ سَتْرُهَا بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ هِيَ مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ .

أَمَّا عَوْرَةُ الرَّجُل فَهِيَ مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ . (الموسوعة الفقهية الكويتية ، 1410هـ ، 174/24)

ثانيًا : دليل ستْر العورة :

الدليل على وجوب سترة العورة ؛ قوله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾النور: ٣٠

والظاهر أن الله سبحانه وتعالى سمّى ما حرم علينا إبداؤه عورةً ؛ لما في إظهارها أمام الغير من إخلال بالصفة الإنسانية الكريمة ، والآداب العامة . أو لما يسبب كشفها من إخلال بالأخلاق ، وذيوع مفاسد عظيمة يفسد بها المجتمع ويصيبه الخلل .

ثالثا : الآثار التربوية لستر العورة :

لقد حارب الإسلام ظاهرة العُرْي التي كانت منتشرة في الجاهلية محاربة شديدة ؛ وذلك لإحكام قانون الاجتماع البشري وتوطيده . فالعُري مفتاح الشر والفساد ؛ الذي إن تمكّن في مجتمع من المجتمعات البشرية ، فإنه يأتي بنيانها من القواعد فتنهار أركانها ، وتخور قواها ، وتتبعثر جهودها هباءً منثوراً ، وتصبح هياكلَ لا فحوى لها ، ولا مضمون .

وإن الحالة التي كانت عليها الجاهلية العربية من التهاون في العُري ، لا تختلف عنها حال الأمم المهذّبة الراقية اليوم !! بل لقد وصلت حال أمم اليوم درجةً من السوء والانحراف والتدني الخلقي ما لم تصل إليها حال الأمم السابقة . فقد انتشرت نوادي العراة في أوروبا وأمريكا . وألبسة النساء في السهرات والأسواق لا تكاد تستر إلا القليل من الجسم . وتلك علاماتُ ذهاب الحياء ، وفساد الأخلاق ، ومسخ الفطرة ، ورجوع الناس إلى حياة الغاب ؛ التي لا ضابط لها ولا رابط .

أمّا الجاهلية الأولى قبل الإسلام فقد كانت سادرةً في غيها ، لاهيةً ماجنةً ؛ إذْ كان رجال من العرب يتعرّى بعضُهم أمام بعض بدون حياء أو تردُّد ، وكانوا يطوفون بالكعبة عراة ، ويعتقدونه من أفضل العبادات ؛ حتى إنّ المرأة "كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ فَتَقُولُ : مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا .

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف: ٣١ (مسلم ، 1415هـ ، 243/8)

أمّا في عامّة أحوالها فكانت تلبس لباساً يكشف بعض الصدر ، وعن جانب من الذراعين ، والكشح والساقين في عامة أحوالها ، وهي حالة منتشرة اليوم في معظم بلدان العالم الراقي المتحضر !! وخاصّة البلدان الإسلامية .

إنّ هدْي الإسلام في وجوب ستر العورة فيه دحرٌ لمكائد شياطين الإنس والجن . فإن الشيطان حينما وسوس الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام إنما فعل ذلك حسدًا منه ؛ لينزع عنهما نعمة الستر التي أنعم بها الله تعالى عليهما في الجنة، فيبدي سوءاتهما بما يوقعهما فيه ؛ حيث يقول الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ الأعراف: ٢٧

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بستر العورة ، وسمى سترها زينةً ، فقال : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ الأعراف: ٣١

وكذلك فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ستر العورات ، ونهى عن كشفها والنظر إليها . فقال ﷺ : (**لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلاَ يُفْضِى الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلاَ تُفْضِى الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِى الثَّوْبِ الْوَاحِدِ**) (مسلم ، 1415هـ ، 183/1)

بل إن ستر العورة من ثمرات الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر ، قال ﷺ : (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يدخل الحمام إلا بمئزر**) (النسائي ، 1416هـ ،198/1)

ويجب أن لا ينسى المسلم أنّ هناكَ منْ يراقبُه مِن غير البشر (الملائكة) الذي يحفّونه ، ويحفظونه من بين يديه ومن خلفه . وكذلك الكَتَبة رقيبٌ وعتيدٌ . فهم أحقّ بأن يُستحيى منهم .

ثم إنّ من الغايات السامية للنهي عن كشف العورات : المحافظة على العرض ؛ كي لا تشيع الفاحشة ، وتفسد الأخلاق ، وتضيع الأنساب ، وتموت النخوة ، والرجولة .

وقد ضمن النبي ﷺ الجنّة للذي يحفظ فرجه . فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ : اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**) (ابن حنبل ، 1411هـ ، 417/37)

المبحث الثالث

النـهي عن الإسراف

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: 31

أولا : تعريف الإسراف :

الإسراف في اللغة :

هو : مجاوزة الحدّ ، والقَصْد . وأسرف في الكلام : أفْرَطَ . (ابن منظور ، د.ت ، 148/9)

والإسراف في النفقة : التبذير ، أو ما أُنفِق في غير طاعة الله . (الفيومي ، د.ت ، 296)

الإسراف في الشرع :

لا يخرج معنى الإسراف في الشرع عن المعاني اللغوية السالفة .

قال الجرجاني : "الإسراف : إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس ، وتجاوُز الحدّ في النفقة . وقيل : أن يأكل الرجل ما لا يحل له ، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال ، ومقدار الحاجة" . (الجرجاني ، 1413هـ ، 38)

وفرّق بين الإسراف والتبذير فقال : "الإسراف : تجاوُزٌ في الكمية . فهو جهْلٌ بمقادير الحقوق ، وصرْفُ الشيءِ فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي . بخلاف التبذير ؛ فإنّه : صرْف الشيء في ما لا ينبغي" . (الجرجاني ، 1413هـ ، 39)

وعرَّفه إياسُ بن معاوية -رحمه الله- ، بأنه : ما جاوزت به أمر الله . (القرطبي ، 1427هـ ، 110/7) .

وعرّفه الحافظ ابن حجر –رحمه الله- بأنه : "مجاوزة الحدّ في كلِّ فعل ، أو قول . وهو في الإنفاق أشهرُ" . (ابن حجر ، د.ت ، 253/10)

وتعريفُ الحافظ ابن حجر –رحمه الله- يطابِقُ المقصودَ في هذا البحث .

ثانيًا : المضامين التربوية للكفّ عن الإسراف :

يختلف حكم الإسراف بحسب متعلقهِ - كما تبين في تعريف الإسراف- . يُفهَم من كلام الفقهاء عن الإسراف : أنّ صرف المال الكثير في أمور البر والخير والإحسان لا يعتبر إسرافاً ؛ فلا يكون ممنوعاً . أما صرفه في المعاصي والتّرف ، وفي ما لا ينبغي ، فيعتبر إسرافاً منهيًّا عنه ، ولو كان قليلاً .

فقد نُقِل عن مجاهد –رحمه الله- قولُه : " لَوْ كَانَ جَبَل أَبِي قُبَيْسٍ ذَهَبًا لِرَجُلٍ ، فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مُسْرِفًا ، وَلَوْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا أَوْ مُدًّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَانَ مُسْرِفًا" (القرطبي ، 1427هـ ، 110/7) ومن هذا القول المشهور : لا سَرَف في الخير .

إلاّ أن الإسراف كما يكون في الشر ، يكون في الخير ، كمن تصدق بجميع ماله ، واستدل لذلك قوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ الأنعام: ١٤١

وقد يكون الإسراف في العبادات ، وخاصّةً البدنية منها ؛ كما في الوضوء ، وذلك بتكرار غسل الأعضاء فوق المسنون . فقد رُوِيَ أنّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ : (**مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟**) قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ ؟ قَالَ : (**نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ**) (ابن حنبل ، 1411هـ ، 636/11)

ومن هنا جاء اتفاق الفقهاء على أن الإسراف في استعمال الماء مكروه .

والإسراف في الوضوء ناتجٌ عن وسوسة الشيطان . قال الحسن البصري – رحمه الله- : " شَيْطَانُ الْوُضُوءِ يُدْعَى الْوَلْهَانُ يَضْحَكُ بِالنَّاسِ فِي الْوُضُوءِ" . (البيهقي ، 1414 هـ ، 197/1) وقال بعض السلف : " كَانَ يُقَالُ إِنَّ لِلْمَاءِ وَسْوَاسًا ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ" . (البيهقي ، 1414 هـ ، 197/1)

بل إنّ الإسلام قد نهى عن الإسراف في الصلاة ، والصوم ، وسائر العبادات . فقد ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلٌ يصومُ الدهرَ كلَّه ، فقال ﷺ : (**من صام الأبَدَ فلا صَامَ وَلا أفْطَرَ**) قال الشوكاني : "فيه دليل على أن المشروع هو الاقتصاد في الطاعات ؛ لأن إتعاب النفس فيها والتشديد عليها يفضي إلى ترْك الجميع ، والدّين يُسْرٌ ، ولن يشادّ أحد الدين إلا غلبه ، والشريعة المطهّرة مبنية على التيسير". (نيل الأوطار ، 1404هـ ، 160/1)

أما الصدقات والعبادات المالية المندوبة التي تُعطى للمحتاجين ؛ رجاءً لثواب الله تعالى ، فقد أمر الله سبحانه بالقصد فيها ، والاعتدال ، وعدم التجاوز إلى الحدّ الذي يعتبر إسرافاً . قال تعالى في صفات المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ **الفرقان: ٦٧.**

فالإنسان مأمور بأن يأكل ويشرب بحيث يتقوى على أداء المطلوب ، ولا يتعدى إلى الحرام ، ولا يكثر الإنفاق المستقبح ، ولا يتناول مقداراً كثيراً يضرّه ولا يحتاج إليه . فإن تعدى ذلك إلى ما يمنعه القيام بالواجب حَرُم عليه . وإنْ قد أسرف في مطعمه ومشربه ، فقد ارتكب محرّمًا ؛ لأنه إضاعة للمال ، وإمراض للنفس ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : (**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ . حسبك يا ابن آدمَ لقيماتٍ يُقِمْن صُلبك . فإن كان لا بدَّ ، فثُلث طعامٍ ، وثُلث شرابٍ ، وثُلث نَفَس**) (ابن حبان ، 1407هـ ، 41/12) .

والأصل في كلّ ذلك : التنعُّم في الأكل ، واللباس ، وسائر الحاجات ؛ مال يخالطْه إسرافٌ ، ولا مخيلة .

إنّ الإسراف والتبذير داءٌ فتّاكٌ ، يهدّد الأمم والمجتمعات ، ويبدّد الأموال والثروات ، وهو سبب للعقوبة والبليات ، في العاجلة والآجلة . قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ النحل: ١١٢ ومن كفران النعمة : الإسراف .

وإذا كان الغنى من دواعي الإسراف ، أو من أسبابه ؛ فإنّه يرتبط أيضًا بالطغيان والتكبُّر ، وما يترتّب عليهما من عواقب وخيمة . قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ العلق: ٦ - ٧

ولذلك جاء النهي النبوي الصريح عن إضاعة المال . قال ﷺ : (**إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا : قِيلَ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**)(البخاري ، 1411 هـ ، 529/3)

إنّ من ظواهر الإسراف في مجتمعاتنا المعاصرة : التفاخُر في المطعم والمشرب ؛ وخاصة في حفلات الأعراس . وكذلك ما يسمى بـ(الموضة) واقتناء الأزياء الفاخرة الباذخة الثمن ، التي قد لا تُلبَس إلاّ مرّةً واحدةً .

وكذلك : إضاعة الأوقات في الملاهي ، أو في متابعة القنوات ، وما يتبع ذلك من إسراف في الماء ، والكهرباء ، وإنفاق العمر في غير ما خُلِق له الإنسان.

وكذلك : تأثيث البيوت بأغلى أنواع الأثاث ، تفاخُرًا ، وتباهيًا .

...إلى غير ذلك . قال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ الحديد: ٢٠

إنّ معالم الوسطية في الإسلام ، لتشعّ من قوله تعالى : ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ الأعراف: ٣١

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ الفرقان: ٦٧

الفصل الخامس

المضامين التربوية الاجتماعية في آيات النداء لبني آدم
في سورة الأعراف

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : **علاقات الناس مع بعضهم .**
- المبحث الثاني : **الإحسان إلى الفقراء والمساكين .**

المبحث الأول

علاقة الناس مع بعضهم

❁ **قال تعالى** : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾ الأعراف: ٣٥الأعراف: ٢٧

○ المضامين التربوية لعلاقة الناس مع بعضهم :

حياة الإنسان في هذه الدنيا بين معاملةٌ الحق - سبحانه - ، ومعاملة الخلق من الإنس والجن وغيرها ، وبحسب هذه المعاملة يكون جزاء الإنسان في الدنيا والآخرة ؛ فإذا أحسن مُعاملة الله -عز وجل- ، بأنْ أحبَّه وعظَّمه ، وشكرَ آلاءَه ونِعَمه ، وأطاع أوامرَه ، واجتنب نواهيَهُ ، وأحسنَ مُعاملة الخَلق كما أمره الله ؛ فاجتهد في النُّصح لهم ، والإحسان إليهم ، والعدل في معاملتهم ، والرفق بهم ، واحتمال الأذى منهم ، وكفِّ الظلم عنهم ، فإنّه يفوزُ بسعادة الدنيا والآخرة ، وترتفعُ منزلته عند الله تعالى وعند الناس ، ويُطرح له القبول في الأرض ، والمحبةُ في قلوب الخلق . (الفوزان ، 1424هـ ، ص 35)

ومن أدب الإنسان الذي أدّب الله به عبادَه ، أن يكون الإنسان نزيهًا في أقواله وأفعاله ، غيرَ فاحشٍ ولا بذيءٍ ؛ بل يكون حَسَنَ الخُلق ، واسعَ الحلم ، مجاملًا لكلّ أحدٍ ، صَبورًا على ما يناله من أذى الخَلْق ؛ امتثالًا لأمر الله ، ورجاءً لثوابه (الفوزان ، 1424هـ ، ص 37)

يقول الإمام القرطبي عن قوله تعالى : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ البقرة: ٨٣: ((وهذا كلُّه حضٌّ على مكارم الأخلاق ؛ فينبغي للإنسان أن يكون قولُه للنّاس ليِّنًا ، ووجْهُه مُنبَسِطًا طلْقًا ، مع البر والفاجر ، والسُّنّي والمبتدع ؛ مِنْ غير مُداهَنةٍ ،

ومن غير أن يتكلّم معه بكلامٍ يُظَنُّ أنّه يُرضِيْ مَذْهبَه ؛ لأنّ الله تعالى قال لموسى وهارون – عليهما السلام : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ طه: ٤٤ . فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون ، والفاجر ليس بأخبث من فرعون ، وقد أمرَهُما الله تعالى باللّين معه .

وقال طلحة بن عمر : قلت للعطاء : إنك رجل يجتمع عندك ناسٌ ذووا أهواء مختلفة ، وأنا رجل فِيَّ حِدَّةٌ ، فأقول لهم بعض القول الغليظ. فقال : لا تفعل ! يقول الله تعالى : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣ ، فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى ، فكيف بالحنيفي؟!)) . (القرطبي ، 1427هـ ، 16/2)

ومنها يُؤخَذُ أنّ للمسلم في تعامُله مع الناس ثلاثة أحوالٍ :

الأولى : أنْ يأخذ منهم ما سهُل عليهم ، وطوَّعت به نفوسهم ، وتيسَّر لهم بذْله من أموالهم ، وأخلاقهم ، وأعمالهم . وأنْ يتركَ الاستقصاء عليهم ، والتفتيش عن بواطنهم ، ويلتمسَ المعاذير لهم ، ولا يُجهدَهم ويَشُقَّ عليهم ، ويَحْمِلَهم على الشَّطَطِ والعَنَتِ ؛ فيُؤذِيَهم ويُحْرِجَهم . قال عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - : أمَر اللهُ نبيَّه أنْ يأخُذ العفوَ من أخلاق الناس . (الفوزان ، 1424هـ ، ص 39)

الثانية : أنْ يأمرَهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ؛ لأنّ عاقبة ذلك صلاحُ أمرهم في دنياهم وآخرتهم .

الثالثة : أنْ يُعرِضَ عن الجاهلين ، ويصفحَ عنهم ، ولا يُشغِلَ نفسَه في الانتقام منهم ، ومطاولتِهم والردِّ عليهم ، ومقابلةِ جهْلِهم وسفههم . (الفوزان ، 1424هـ ، ص 40)

وللمسلمين على بعضهم البعض حقوق ، وواجبات . وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ، فقال : (**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ :**

رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ . (البخاري ، 1411هـ ، 155/3) .

1 - ردّ السلام :

السّلام : تحيّةٌ ، وأمانٌ ، ودعاءٌ بالسّلامة .

ينقل ابن حجر عن ابن دقيق العيد أنه قال : ((السَّلَام يُطْلَق بِإِزَاءِ مَعَانٍ ، مِنْهَا السَّلَامَة ، وَمِنْهَا التَّحِيَّة ، وَمِنْهَا أَنَّهُ اِسْم مِنْ أَسْمَاء اللَّه)) . (ابن حجر ، د.ت ، 13/11)

وقال ابن حجر : ((وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي مَعْنَى السَّلَام : فَنَقَلَ عِيَاض أَنَّ مَعْنَاهُ اِسْم اللَّه أَيْ كِلَاءَة اللَّه عَلَيْك وَحِفْظه ، كَمَا يُقَال اللَّه مَعَك وَمُصَاحِبك ... وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : السَّلَامَة ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ الواقعة: ٩١ ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِر :

تُحَيِّي بالسَّلَامَةِ أُمُّ عَمْرٍو وَهَلْ لِي بَعْد قَوْمِي مِنْ سَلَام

فَكَأَنَّ الْمُسَلِّمَ أَعْلَمَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ أَنَّهُ سَالِمٌ مِنْهُ ، وَأَنْ لَا خَوْف عَلَيْهِ مِنْهُ)) . (ابن حجر ، د.ت ، 13/11)

ولذلك كان الابتداء بالسلام سُنّةً ، وردُّه فريضةً ؛ قال الحليمي : ((إنما كان الرّدّ واجبًا ؛ لأن السلام معناه الأمان ، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه ، فإنّه يتوهّم منه الشّرّ ، فيجب عليه دفْعُ ذلك التوهُّم عنه)) . (ابن حجر ، د.ت ، 7/11)

2 - عيادة المريض :

يقول الله – سبحانه وتعالى - : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ الروم: ٥٤

ففي هذه الآية وغيرها من الآيات دلالةٌ وبيانُ ما يتقلّب فيه الإنسان في حياته ؛ من صحة ومرض ، وعافية وسقم ، وبؤس وسرور ، ويسر وعسر . لا بد أن تمرّ على الحي أمور كثيرة يتقلب فيها ، ومن تلك الأمور : الأسقام، والأمراض، والابتلاءات ؛ لا يمكن أن ينجوَ عبدٌ في هذه الدنيا من البلاء ، بَرًّا كان أو فاجرًا.

وعيادة المريض واجبة ؛ لقوله ﷺ : (**عُودُوا المَرِيْضَ**) (مسلم ، 1415هـ ، 143/9)

وفي عيادة المريض أجر عظيم ؛ قال ﷺ : (**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ**) (البخاري ، 1411هـ ، 527/14)

وقد قدّم النبي ﷺ القيام على المريض والعناية به ، على الذهاب معه إلى غزوة بدر ، حين أمرَ عثمان رضي الله عنه أن يبقى عند زوجته ، ابنة النبي ﷺ .

ومن آداب عيادة المريض : الدعاء له بما ورد في السنّة الصحيحة؛ حيث أورد البخاري –رحمه الله- من حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما - : أنّ النبيّ ﷺ دخل على رجلٍ ، فقال : (**لا بأس عليك ، طهورٌ**) (البخاري ، 1411هـ ، 195/4)

3- اتباع الجنائز :

قال ﷺ : (**عُودُوا المَرضَى واتْبَعُوا الجنائزَ تُذكِّرْكُم الآخرةَ**) (ابن حبان ، 1407هـ ، 221/7) وفي فضْلِ شهود الجنازة ، قال رسول الله ﷺ ذات يومٍ لأصحابه (**مَنْ أصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟**) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه : أَنَا . قَالَ : (**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟**) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه : أَنَا . قَالَ : (**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه : أَنَا . قَالَ : (**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا**) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**مَا اجْتَمَعْنَ فِى امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**) (مسلم ، 1415هـ ، 92/3)

ولا شكّ أنّ في اتباع الجنائز إظهارُ المشاركة لأهل الميت في مصابهم ، وتطييبٌ لخاطرهم ، وتسليةٌ لنفوسهم . مع ما في ذلك من أجرٍ عظيمٍ ، وثوابٍ جزيلٍ .

4- إجابة الدعوة :

قال ﷺ : (**مَنْ دُعِىَ إِلَى عُرْسٍ أَوْ نَحْوِهِ فَلْيُجِبْ**) (مسلم ، 1415هـ ، 152/4) ففي هذا الحديث وغيره أهمّية إجابة الدّعوة ، والحض على ذلك . هذا إذا لم تشتمل على منكر .

وفي إجابة الدعوة تواصُلٌ بين المسلمين ، وتأليفٌ بين قلوبهم ، وتوطيدٌ للألفة بينهم .

5 - تشميت العاطس :

قال الزبيدي : ((التَّشْمِيتُ : التَّسْمِيتُ . وتَشميتُ العاطس : دُعاءٌ . وقال ابنُ سِيدَهْ : شَمَّتَ العاطسَ ، وشَمَّتَ عليه : دعَا له أن لا يكون في حال يُشْمَتُ به فيها . والسّين لغة عن يعقوبَ . وكلُّ داعٍ لأحدٍ بخَير ، فهو مُشمِّتٌ له ومُسَمِّتٌ

- بالشّين والسّين- ، والشّينُ أعلى في كلامهم ، وأفْشَى . وفي التَّهْذيب : كلُّ دعاءٍ بخيرٍ ، فهو تَشميتٌ . وفي حديث زواج فاطمة لعليٍّ ، رضي الله عنهما : (فأتَاهُما، فدعَا لهما ، وشَمَّتَ عليهما ، ثُمَّ خرَجَ) . وحُكي عن ثعلب أنّه قال : الأصل فيها السّين ، من السَّمْت ، وهو : القَصْد والهَدْيُ . وفي حديث العُطّاس : (فشَمَّتَ أحدَهُما ، ولم يُشَمِّتِ الآخَرَ)

التَّشْمِيتُ ، والتَّسْميتُ : الدّعاءُ بالخَير والبرَكة . والمُعْجمَةُ أعلاهُما)) (الزبيدي ، 1400هـ ، 582/4)

ولابن القيم – رحمه الله – كلامٌ نفيسٌ في تشميت العاطس ؛ حيث يقول : ((وَلَمّا كَانَ الْعَاطِسُ قَدْ حَصَلَتْ لَهُ بِالْعُطَاسِ نِعْمَةٌ وَمَنْفَعَةٌ بِخُرُوجِ الْأَبْخِرَةِ الْمُحْتَقِنَةِ فِي دِمَاغِهِ ، الَّتِي لَوْ بَقِيَتْ فِيهِ أَحْدَثَتْ لَهُ أَدْوَاءً عَسِرَةً ؛ شُرِعَ لَهُ حَمْدُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ مَعَ بَقَاءِ أَعْضَائِهِ عَلَى التِئَامِهَا وَهَيْئَتِهَا ، بَعْدَ هَذِهِ الزَّلْزَلَةِ الَّتِي هِيَ لِلْبَدَنِ كَزَلْزَلَةِ الْأَرْضِ لَهَا .

وَلِهَذَا يُقَالُ : سَمَّتَهُ ، وَشَمَّتَهُ -بِالسِّينِ وَالشِّينِ- ، فَقِيلَ : هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ . قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَغَيْرُهُ . قَالَ : وَكُلّ دَاعٍ بِخَيْرٍ فَهُوَ مُشَمِّتٌ وَمُسَمِّتٌ . وَقِيلَ : بِالْمُهْمَلَةِ ؛ دُعَاءٌ لَهُ بِحُسْنِ السَّمْتِ ، وَبِعَوْدِهِ إلَى حَالَتِهِ مِنْ السُّكُونِ وَالدَّعَةِ ؛ فَإِنّ الْعُطَاسَ يُحْدِثُ فِي الْأَعْضَاءِ حَرَكَةً وَانْزِعَاجًا . وَبِالْمُعْجَمَةِ: دُعَاءٌ لَهُ بِأَنْ يَصْرِفَ اللَّهُ عَنْهُ مَا يُشَمِّتُ بِهِ أَعْدَاءَهُ . فَشَمَّتَهُ : إذَا أَزَالَ عَنْهُ الشَّمَاتَةَ ؛ كـ : قَرَّدَ الْبَعِيرَ ، إذَا أَزَالَ.

وَقِيلَ : هُوَ دُعَاءٌ لَهُ بِثَبَاتِهِ عَلَى قَوَائِمِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ . مَأْخُوذٌ مِنْ الشَّوَامِتِ ؛ وَهِيَ : الْقَوَائِمُ . وَقِيلَ هُوَ تَشْمِيتٌ لَهُ بِالشَّيْطَانِ ؛ لِإِغَاظَتِهِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْعُطَاسِ ، وَمَا حَصَلَ لَهُ بِهِ مِنْ مُحَابِّ اللَّهِ ؛ فَإِنّ اللَّهَ يُحِبّهُ ، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللَّهَ وَحَمِدَهُ سَاءَ ذَلِكَ الشَّيْطَانَ مِنْ وُجُوهٍ ؛ مِنْهَا : نَفْسُ الْعُطَاسِ الَّذِي يُحِبّهُ اللَّهُ ، وَحَمْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَدُعَاءُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بِالرَّحْمَةِ ، وَدُعَاؤُهُ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَإِصْلَاحُ

الْبَالِ؛ وَذَلِك كُلُّهُ غَائِظٌ لِلشّيْطَانِ مُحْزِنٌ لَهُ .

فَتَشْمِيتُ الْمُؤْمِنِ بِغَيْظِ عَدُوّهِ وَحُزْنِهِ وَكَآبَتِهِ ، فَسُمّيَ الدّعَاءُ لَهُ بِالرّحْمَةِ تَشْمِيتًا لَهُ ؛ لِمَا فِي ضِمْنِهِ مِنْ شَمَاتَتِهِ بِعَدُوّهِ ، وَهَذَا مَعْنًى لَطِيفٌ إذَا تَنَبّهَ لَهُ الْعَاطِسُ وَالْمُشَمّتُ انْتَفَعَا بِهِ ، وَعَظُمَتْ عِنْدَهُمَا مَنْفَعَةُ نِعْمَةِ الْعُطَاسِ فِي الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ ، وَتَبَيّنَ السّرُّ فِي مَحَبّةِ اللّهِ لَهُ)) (ابن القيم ، 1407هـ ، 2/438-439)

أمّا ابن فارس ، فبعد أن أورد قول الخليل : تشميت العاطِس : دعاءٌ له . وكلُّ داعٍ لأحدٍ بخير فهو مشمِّتٌ له . قال ابن فارس : ((هذا أكثرُ ما بلَغَنَا في هذه الكلمة ، وهو عِندي من الشّيء الذي خفيَ عِلْمُهُ، ولعلّه كانَ يُعلَم قديماً ثمَّ ذَهَبَ بذهاب أهله)) .

تلك كانتْ بعضُ حقوق المسلم على المسلم ؛ فمنْ أدّاها فسَيُؤتى أجْرَه مرّتين ؛ لأدائه حقّ الله تعالى باستجابته له ، ولأدائه حقّ أخيه المسلم .

ومفهوم العدد الوارد في الحديث ليس على إطلاقه ؛ إذْ إنّ حقوق المسلم على المسلم كثيرة ؛ منها ثلاثون حقًّا لا براءةَ له منها إلا بالأداء أو العفو ؛ وهي : يَغْفِرُ زَلّتَهُ ، وَيَرْحَمُ عَبْرَتَهُ ، وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ ، وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُ، وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ ، وَيَرُدُّ غَيْبَتَهُ ، وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ ، وَيَحْفَظُ خُلّتَهُ ، وَيَرْعَى ذِمّتَهُ ، وَيُجَدِّدُ مَوَدّتَهُ ، وَيَشْهَدُ مَيّتَهُ ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ ، وَيَقْبَلُ هَدِيّتَهُ ، وَيُكَافِئُ صِلَتَهُ ، وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ ، وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ ، وَيَحْفَظُ حَلِيلَتَهُ ، وَيَقْضِي حَاجَتَهُ ، وَيَشْفَعُ مَسْأَلَتَهُ ، وَيُطَيِّبُ كَلَامَهُ ، وَيُسَيِّرُ أَنْعَامَهُ ، وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ ، وَيَنْصُرُهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، وَيُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ ، وَيُحِبُّ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ ، وَيَكْرَهُ لَهُ مِنْ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ .

○ الآثار التربوية لعلاقة الناس مع بعضهم :

قد بين الله سبحانه وتعالى منهج التعامل مع الناس في آية مختصرة جامعة، فقال سبحانه وتعالى في محكم كتابه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩.

((وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية)) (القرطبي ، 1427هـ ، 345/7)

وذلك أنها تضمنت الإحسان إلى الناس ؛ بالرفق في معاملتهم ، والتيسير عليهم ، والنصح لهم ، والإعراض عن جاهلهم .

ولو لم يرد في الدلالة على أهمية حسن التعامل مع بعضهم البعض ، وعظيم أثره ، وشدة الحاجة إليه قولُ رب العالمين لصفِيّه ، ووليِّه ، وخليلِه : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩ لكفى . فكيفَ وأصحابه رضوان الله عليهم هم أكمل الناس إيمانًا ، وأكثرهم محبّةً له . بل كيف بغيره من البشر ، وهم دونه بمراحل كثيرة ، وليس لهم من مقومات المحبة والقبول ، ووجوب السمع والطاعة ، ما جعله الله له ؟!

لذا كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على القيام بحق الله تعالى والنصح لعباده ، فقد روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : ((بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)) (البخاري ، 1411هـ ، 61/1)

وأمْرُ الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الناس عمومًا ؛ لمغزًى ؛ ذلك أنّ القولَ الحسَن يؤنس النفوس ، ويفتح مغاليق القلوب ، ويعين على قبول الحق والانقياد له ، ويُورِثُ المحبة والتقديرَ لصاحبه . وهو يدل على سمو نفسه ، وحسن خُلقه ، وعفّة لسانه . وهذا ما يجب أن يكون عليه المسلم .

❍ معالم هدْي الإسلام في الإحسان إلى الناس قولا وعملا :

من الصعب ؛ بل من المستحيل استقصاء كلّ ما ورد في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وسيرة النبي ﷺ ، وأصحابه ومن تبعهم بإحسان . في هدي الإسلام بالإحسان إلى الناس قولًا ، وعملًا . ولذلك يمكن الاكتفاء بالاطّلاع على بعض معالم هذا الهدي ، وذلك المنهج . فمن ذلك :

1- ورد في البخاري : أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ السَّامُ ، وَاللَّعْنَةُ . قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**) فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**) (البخاري، 1411هـ ، 215/15)

2- جاء في مسند أحمد قوله ﷺ : (**وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ**) (ابن حنبل ، 1411هـ ، 26/11)

3- من رحمة الله بعباده المؤمنين أن جعلهم إخوة متحابين ، متآلفين متعاونين ، متواصلين متراحمين ، فقال –سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠.

وهذه صيغة حصر وقصر ؛ فالأخوّة والإيمان قرينان لا ينفصلان ، ومحبة المؤمنين دليلٌ صحة الإيمان ، وهي من لوازم محبة الله . وقد

امتنّ الله على عباده المؤمنين بهذه الألفة التي جعلها في قلوبهم ، وهذه الأخوّة التي عقدها بينهم ، فقال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ آل عمران: ١٠٣

وذلك حين هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كانت العداوة بين الأوس والخزرج قائمةً على أشدّها ، وآثار حرب " بعاث " التي وقعت بينهم لا تزال محفورةً في قلوبهم ، وتؤثر في علاقة بعضهم ببعض . فجاء الإسلام فآلف بين قلوبهم ، وجمعهم على الأخوة في الله .

4- جعل النبي ﷺ كمال الإيمان الواجب ، لا يتم إلا بأن يحب المسلم لإخوانه ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، فقال عليه الصلاة والسلام (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**) (البخاري ،1411هـ ،17/1)

علّقَ الإمام النووي –رحمه الله – على هذا الحديث في شرحه صحيح مسلم ، فقال : ((وكما حثّ الشارع على هذه الأُخوّة ، وامتنّ بها ، وبيّن فضلها ، وحُسْن عواقبها في الدنيا والآخرة ؛ فإنّه شرع من العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب ، ما هو كفيل بتحقيقها ، وتعميقها في نفوس المسلمين)) . (مسلم ، 1415هـ ، 36/2)

٥ - صلاة المسلمين جماعةً في المساجد . فهم يؤدونها كل يومٍ خمس مرّات ، وفيها من الحكم والمصالح الدينية والدنيوية ما نعلمه ، وما لا نعلمه . فمن ذلك : تحقيق الأخوة بين المسلمين ؛ إذْ إنّ المسجد يضم أهل الحي في كل فرْضٍ ، تتلاصق فيها الأبدان وتتعارف فيها الوجوه ، وتتصافح فيها الأيدي ، وتتناجى فيها الألسن ، وتتآلف فيها القلوب ، ويلتقون على وحدة الغاية والوسيلة ، يصلّون خلف رجل واحد هو الإمام ، ويتلون كتابًا واحدًا وهو القرآن ، ويتجهون

إلى قبلة واحدة هي الكعبة البيت الحرام .

...إلى غير ذلك من المعالم والسمات .

وهكذا ؛ فإن رباط الأخوة في الدين لا تنشأ من التكليف ، بل من التعريف ؛ فهو رباط الدين يجمع بين المؤمنين كما يجمع نور الشمس بين المبصرين ، والذي يؤمن بالله يحبُّه اللهُ الذي يحب المخلصين ، وهو من أجل الله يحب جميعَ المؤمنين .

والأخوّة الدينية أدْوَمُ وأقوم ، وهي علاقة وثيقة العرى ، عميقة الجذور ، متأصّلة في النفوس ، مغلّفة في سويداء القلوب ؛ لأنها جزء من عقيدة المسلم ، وأصْلٌ عظيمٌ من أصول دينه ، الذي اختاره عن رغبةٍ وطواعية . إنّها في العقيدة الإسلامية .

ويكفينا في هذا حديث جليلٌ عن النبي ﷺ ؛ حيث قال : (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) (البخاري ، 1411، 227/6) .

المبحث الثاني

الإحسان إلى الفقراء والمساكين

❁ **قال تعالى** : ﴿ ❁ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ❁ ﴾ **الأعراف: 31**

❍ المضامين التربوية للإحسان إلى الفقراء والمساكين :

- إذا تمسّك الإنسان بما أمره الله ورسوله في الإنفاق لَرُفِع الفَقْرُ ، وغابَ الجوعُ ؛ الذي لأجله اختلفت الأحزاب في عالمنا ، وتفرّقت تفرقًا شديدًا .

- إذا استعد الإنسان ليرحم خلقَ الله ، خوفًا من الوعيد الوارد في من قصر في حقهم .

- إذا علِم أنه لا يُؤْمِنُ إذا شبع وكان هناك أخٌ له جائع فقير ومسكين ، وهو يعلم به .

- إذا كان أخوه المسلم في مأمنٍ منه .

- إذا أصابه السهر وهو في المشرق لشكوى أخيه وهو في المغرب .

هذه الصفات وغيرها لا تحصل إلا بيقين المؤمن أنّ اللهَ عز وجل مطلع عليه ، لا يغيب عنه شيء من أمره ، وأنه تعالى يؤاخذه إذا خالف أمره في شأن أخيه .

ومشكلة هذه العصر تعود في أساسها إلى الاعتقاد أن كل فريق يُلقي باللائمة على الآخر . فالفقراء يلقون بها على الأثرياء ، والأثرياء يلقون بها الأنظمة الوضعية . وهكذا دواليك . ولكن ذلك لا ينفع ، ولن ينفع مع فقدان اليقين بالله عز وجل ، وبوعده ووعيده .

لقد ظنّوا حينَ رَأوْا شيئًا من السّعة والتطوّر أنّ ذلك من ثمار نُظُمِهم ، وهم في الحقيقة لا يعلمون أنّها تداوُل الأيام ، التي سرعان ما تتلاشى ؛ كالمتورّم بمرض مُهلكٍ ، ويظنّ أن ورمه علامة الصحة والقوة ، وما هي إلّا أيام فيفاجئه جرس الهلاك ، وحينها سيوقن أن زعمه كان باطلًا .

لقد فرض الله تعالى على عباده زكاةً تؤخذ من أغنيائهم وتردّ إلى فقرائهم ، وفي ذلك رحمةٌ للطرفين ؛ الغني يزكّى ماله ويطهّره ، وينال رضا ربّه ، ودعوةً صالحةً . وهي أيضًا رحمة للفقير والمسكين ؛ يسكنُ بالُهما ، ويصلُح حالهما .

○ الآثار التربوية للإحسان إلى الفقراء والمساكين :

لا تنفكّ غِراسُ الإحسان تؤتي أكلها علاقةً حميمةً ، وألْفَةً ، ووُدًّا بين المسلمين . وليس شيء أبلغ في تصوير هذه العلاقة الحميمة ، والتكافل الصادق بين المسلمين من قوله ﷺ : (**الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**) (مسلم ، 1415هـ ، 20/8) وقوله ﷺ : (**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**) وَشَبَّكَ أصَابِعَه . (البخاري ، 1414هـ ، 289/2)

وإذا نمَتْ عاطفة البذل في الأغنياء ، وترسّخت في نفوسهم عاطفة البذل والعطاء ، وتقرّبوا إلى الله بمساعدة إخوانهم المساكين والفقراء ؛ فإنّ كلّ ذلك يولّد فيهم الشعور العام بأنّهم أمّةٌ واحدةٌ ، وجسدٌ واحدٌ ، وإخوةٌ متضامنون متعاونون .

كما إنّ ذلك يستلّ سخائم الفقراء والمساكين ، ويزكّي نفوسهم من الضغينة والبغضاء ؛ بل تجعل الفقير والمسكين يدعو لهم بالبركة والزيادة والنماء، وبهذا يتحول المجتمع إلى أسرة واحدة .

ومانعوا فضلهم من الأغنياء عن الفقراء هم سبب في تباعُد القلوب ، وإثارة الحقد والبغضاء والتنافر بين أفراد المجتمع المسلم . هذا إلى ما ينتظرهم من أليم عقاب الله . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ((إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعُوا ، أو عَروا وجَهدوا فبمنع الأغنياء . وحَقٌّ على الله تعالى أن يحاسبَهم يوم القيامة ، ويعذّبَهم عليه)) . (الطبراني ، 1414هـ ، 23/7) .

ويقول محمد رشيد رضا : ((وَلَوْ أَقَامَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الرُّكْنَ مِنْ دِينِهِمْ لَمَا وُجِدَ فِيهِمْ - بَعْدَ أَنْ كَثَّرَهُمُ اللهُ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ - فَقِيرٌ مُدْقِعٌ ، وَلَا ذُو غُرْمٍ مُفْجِعٌ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ تَرَكُوا هَذِهِ الْفَرِيضَةَ فَجَنَوْا عَلَى دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ فَصَارُوا أَسْوَأَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ حَالًا فِي مَصَالِحِهِمُ الْمِلِّيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ)) . (رضا ، 1410 هـ ، 443/10) .

الفصل السادس

التطبيقات التربوية في آيات النداء لبني آدم

في الجوانب

الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعية

○ أوّلا : المجال الديني :

من التطبيقات الأسرية في المجال الديني : أن تهدف التربية إلى إقامة البيت المسلم ، وتحقيق ما شرعه الله تعالى في جميع العلاقات الزوجية ، وتحقيق عبادة الله عز وجل وحده ؛ ومِنْ ثَمّ ينشأ الطفل منذ البداية في بيتٍ أقيم على تقوى الله تعالى ، وفي ظلِّ أسرةٍ متمسكة بالقيم الإسلامية الفاضلة ؛ ليصبح ذلك سلوكًا طبيعيًا للطفل .

وفي ذلك أيضًا تحقيق للسكون النفسي ؛ قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١ .

إن المباهاة بكثرة النسل في قوله ﷺ : (**انكحوا أمهات الأولاد فإني أباهي بهم يوم القيامة**) (أحمد ، 171/2) تعني النسل الصالح ، الذي يحقق أهداف الدين الإسلامي الحنيف ، وأركان الإيمان ؛ قولًا ، وعملًا ، وسلوكًا ؛ ومِنْ ثَمّ وقاية الأبناء من الخسران ، وإبعادهم عن النيران . جاء عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : جَاءَ أعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ ؟! فَمَا نُقَبِّلُهُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**) (البخاري ، 1411هـ ، 172/15)

وأيضًا : ربْط الطفل منذ صغره في المجال الديني على الأصول الإيمانية ، وتعويده حين يعقل على الأركان الإسلامية ؛ مِن صلاةٍ ، وصومٍ ، وزكاةٍ ، وحجٍّ عند البلوغ إن استطاع إليه سبيلًا ، وإرشاده إلى شمولية منهج الله سبحانه وتعالى ، وتفهيمه أن الدين عقيدةٌ وعبادةٌ ، وأخلاقٌ وتشريعٌ ، وأنظمةٌ وأحكامٌ ؛

لا يجوز الفصل بينها ، ويجب الالتزام بها دون تفريط ، ولا إخلال .

وكذلك : النُّطق بالشهادتين باستمرار (**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**) والتذكير في البيت ، والسيارة ، والطريق ؛ لأن فيهما تجديد الإيمان ، وهما أعظم كلمتين في ميزان الله ؛ بهما يخرُج الإنسان من الكفر ، ويدخل الإسلام .

إن الإسلام أوجبَ على الأبَوْين أمْر الأولاد بالصلاة لسبع سنين ، وأن يُضرَبوا عليها لعشر ، وأن يُفرَّق بينهم في المضاجع . والطفل الذي لا يُطِيع أباه على الرغم من التشجيع ، والترغيب ، والتكرار . ومع ذلك يصرّ على الامتناع عن الصلاة ؛ فعند ذلك يُلْجأ معه إلى الترهيب ، والضرب غير المبرح . (معلم ، 1424هـ ، ص35، 36)

وعلى الوالدين أن يلجآ إلى أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة حينًا ، وبمنْع الهدايا أحيانًا ، وانتهاج أسلوب الترغيب تارةً ، واستعمال طرق الترهيب تارةً أخرى .

إنّ ارتباط الولد بالقرآن الكريم ، وفتْح عينيه على آياته ؛ فإنْ لم يعرف مبدءًا يعتقده سوى مبادئ القرآن الكريم ، ولا يعرف تشريعًا يستقي منه سوى تشريع القرآن ، ولا يعرف بلسمًا لروحه وشفاء لنفسه سوى التخشع بآيات القرآن؛ فعندئذ يكون الأب قد وصل إلى غايته الموجودة في تكوين ولده الروحي ، وإعداده إيمانيًّا وخُلقيًّا . (الدعيلج ، 1428هـ ، ص37)

ومن ذلك واجبات الصباح : الوضوء ، والصلاة ، والإفطار ، وتحية الوالدين ، ودعاء الصباح والمساء . (الدعيلج ، 1428هـ ، ص38)

كما يجب على الوالدين تربية أولادهما على العادات الإسلامية الصحيحة؛ مثل : الشكر على المعروف ، وتقدير الوالدين ، وتحية الإسلام ، والطاعة ،

والتفريق بين الجنسين ، وقضاء الحاجة ، والتيامُن ، وعدم النوم على البطن ، وتشميت العاطس ، وكتمان التثاؤب ، وعدم المرور بين يدي المصلي ، وعدم الدخول على النساء ، وترك لغو الكلام ، والتزام الصدق ، واجتناب الكذب .

○ ثانيًا : المجال الأخلاقي :

نقصِد بالمجال الأخلاقي في الأسرة : التربية الخُلقية ، ومجموعة من المبادئ الخلقية ، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقّنها الطفل ويكتسبها ، ويعتاد عليها منذ تمييزه ، إلى أن يصبح مكلّفًا ، ثم إلى أن يتزوج شابًا ، وإلى أن يخوضَ غمارَ الحياة .

ومن الحقائق اليقينية : أن الفضائل الخُلقية ، والسلوكية ، والوجدانية ليست إلّا ثمرةً من ثمرات الإيمان الراسخ ، والتنشئةِ الدينية الصحيحة .

فالطفل منذ نعومة أظفاره ؛ حين ينشأ على الإيمان بالله ، ويتربى على الخشية منه ، والمراقبة له ، والاعتماد عليه ، والاستعانة به ، والتسليم لجنابه فيما ينوبُ ويروع ، تصبح عنده المَلَكة الفطرية ، والاستجابة الوجدانية لتقبُّل كل فضيلة ومكرمة ، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم ؛ لأنّ الوازعَ الديني قد تأصّل في ضميره ، والمراقبة الإلهية ترسَّخت في أعماق وجدانه ، والمحاسبة النفسية سيطرت على تفكيره وإحساساته . كلُّ ذلك بات حائلًا بين الطفل وبين الصفات القبيحة ، والعادات الآثمة المرذولة ، والتقاليد الجاهلية الفاسدة ؛ بل إنّ إقبالَه على الخير يصبح عادةً من عاداته ، وتعشُّقَه المكارم والفضائل يصير خُلقًا أصيلًا من أبرز أخلاقه وصفاته . (علوان ، 1401 هـ ، ص167) .

○ ثالثًا : المجال الاجتماعي :

حينما تتم تربية الطفل على العقيدة الإسلامية مجرّدة من التوجيه الديني ، والصلة بالله عز وجل ؛ فإن الطفل -لا شكّ- يترعرع على الفسوق والانحلال ، وينشأ على الضلال والإلحاد ؛ بل سيُتبِعُ نفسه هواها ، ويسير خلفَ نوازع النفس الأمارة ، ووساوس الشيطان ؛ وفقًا لمزاجه وأهوائه ، وأشواقه الهابطة . (علوان ، 1401 هـ ، ص168) .

إنّ التربية الإيمانية هي التي تعدّل المزاج المنحرف ، وتقوّم المعوج الفاسد ، وتُصلِح النفس الإنسانية ، وبدونها لا يمكن أن يتحقق إصلاح ، ولا أن يتم استقرار ، ولا يتقوّم خلق .

ونظرًا لهذه الصلة الوثيقة بين الإيمان والأخلاق ، والرابطة المتينة بين العقيدة والعمل انتبه علماء التربية والاجتماع في الغرب ، وفي كثير من الأمم ، فأصدروا توجيهاتهم ، وأعلنوا عن آرائهم ووجهات نظرهم ؛ بأنه من غير دينٍ لا يتم استقرار ، وبغير إيمان بالله لا يتحقق إصلاحٌ ، ولا يتقوّم خُلق . (علوان ، 1401 هـ ، ص 170) .

الفصل السابع

الخاتمة - النتائج - التوصيات

1- الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات . له الحمد وله الشكر ؛ إذْ أعانني على أتمام هذا البحث .

إنّ البحوث المتعلّقة بالقرآن الكريم تستدعي بذْل غاية الجهد ؛ والمصابرة ، والمثابرة . وعلى الرغم من محاولتي التفرُّغَ التامّ لهذا البحث ، وإعطائهِ كلّ اهتمامِي ؛ إلّا أن ظروف الحياةِ ، ومشاغلها قد استنفذتْ منّي جهدًا كبيرًا ، فأبقتْ لي لعاعةً نلتُ بها بعضَ ما كنتُ آملُه .

وإنّي وإنْ كنتُ أشعرُ ببعض القصور في إعطاء جوانبَ من الدراسة ما تستحقّه من بحثٍ ؛ إلا إنّ الفرحة تغمُرني ، حين عشتُ في رحابِ القرآن الكريم ؛ تلاوةً ، وتدبُّرًا ، وتأمُّلًا . وإنّه لربحٌ ما بعدَه رِبح !

وما كان في هذه الدراسة من قصورٍ ، أو خطأٍ ، أو زللٍ ؛ فمنْ نفسي ومن الشيطان . وأستغفر الله . وما كان فيها من صوابٍ فمن الله ، وأسأله سبحانَه أن لا يحرمني الأجرَ .

2- النتائج :

بعد سياحةٍ ذهنيّةٍ تربويّةٍ في رحابِ الآياتِ الكريمة من سورة الأعرافِ ؛ المصدّرةِ بقوله تعالى : (يا بني آدم) خرجتُ بحصيلةٍ من النتائج والأفكار التربوية ؛ ومنها :

1- أن استخلاصَ المضامين التربوية من أيات الكتاب العزيز ؛ تتطلَّبُ زادًا لغويًّا ، ومعرفةً واطّلاعًا تامّين على كُتُبِ اللغة ، ومعاجِمها . معَ القراءةِ المتأمّلةِ في كُتُبِ التفسير ، والدراسات والبحوث القرآنية ، وكتب التربية المتخصصة ؛ للوقوف على معاني الآيات محلّ البحث ، ووجوه تفسيرها ، ودلالاتها .

2- أنّ القرآن الكريم بحرٌ زاخرٌ ، ويبنوعٌ ثَرٌّ ؛ يجدُ فيهِ كلُّ ذي اختصاصٍ بُغيَتَه ، وبخاصّةٍ في المجال التربوي . فكتابُ اللهِ تعالى ربّى جيلًا فريدًا في تاريخ البشرية ، وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

3- أنّ الآيات الكريمة من سورة الأعراف المُستهَلّة بنداء الرحمن لبني آدم ؛ على الرغم من أنها لم تتجاوز أربع آياتٍ ؛ إلا إنها اشتملتْ على كنوز من المضامين التربوية ؛ لو طُبّقتْ في مجالات التربية المختلفة ؛ في البيت ، والمدرسة ، والمجتمع ؛ لاستقامتْ أحوال الناس، في معاشهم ، وتعليمهم ، وسائر مجالات الحياة .

3- التوصيات :

بعد دراسة المضامين التربوية في آيات نداء بني آدم المتعلقة بالمجالات الدينية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ؛ اتضّح أنّها شملت :

في المجال الديني على : التقوى ، وفتنة الشيطان ، واتخاذ الزينة عند العبادة ، والاستجابة للرُّسل .

وفي المجال الأخلاقي : اللباس ، وستر العورة ، والإسراف .

وفي المجال الاجتماعي : علاقات الناس مع بعضهم ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين .

وكلُّ جزئية من هذه المجالات ؛ هي بحدّ ذاتها بحاجةٍ إلى بحثٍ متعمِّقٍ ، ودراسةٍ وافية . وحسبي أنني أشرعتُ البابَ أمام الباحثين . ولذلك يوصي الباحث بالتالي :

1- الاهتمام بالجوانب التربوية وتطبيقاتها في الدراسات القرآنية .

2- بذل الجهود ، ودعم الباحثين في هذه المجالات ، ورعايتهم ، وتهيئة أجواء البحث العلمي المريح لهم .

3- نشْر ، ورعاية البحوث القرآنية في مجال التربية ، والترويج لها إعلاميًّا ، وثقافيًّا ، وتربويًّا .

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علّمنا ، وأن يرزقنا العمل بكتابه ، إنه سميع مجيبٌ .

الـمـراجـع والمصـادر

1) **القرآن الكريم .**

2) الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد (1421هـ) ، **تهذيب اللغة** ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

3) الألباني ، محمد ناصر الدين (1405هـ) ، **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، دار الرسالة ، بيروت .

4) أنيس ، إبراهيم وآخرون (1392هـ) ، **المعجم الوسيط** ، ط2 ، المكتبة الإسلامية ، اسطنبول ، تركيا .

5) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1411هـ) ، **صحيح البخاري** ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر .

6) البخاري ، محمد إسماعيل (1414هـ) ، **صحيح الأدب المفرد** ، دار الصديق ، الأردن .

7) ابن بلبان ، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (1407هـ) ، **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان** ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت .

8) البيهقي ، أحمد بن الحسين (1414هـ) ، **متن البيهقي الكبرى** ، دار الباز ، مكة المكرمة .

9) الجرجاني ، علي بن محمد (1413هـ) ، **التعريفات** ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

10) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن الجوزي (د.ت) ، **زاد المسير في علم التفسير** ، ط11، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق .

11) ابن حجر ، أحمد بن علي (د.ت) ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، دار الفكر ، بيروت .

12) ابن حنبل ، الإمام أحمد بن حنبل (1411هـ) ، **المسند** ، ط3 ، دار الفكر ، بيروت .

13) الدعيلج ، إبراهيم (1428هـ) ، **التربية** ، ط8 ، دار القاهرة ، مصر .

14) الرازي ، محمد بن أبي بكر (د.ت) ، **مختار الصحاح** ، دار الكتب العربية ، القاهرة .

15) رضا ، محمد رشيد بن علي (1410هـ) ، **تفسير المنار** ، الهيئة العامة المصرية للكتاب .

16) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (1400هـ) ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، دار الهداية ، القاهرة .

17) الزحيلي ، وهبة (1418هـ) ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، دار الفكر ، بيروت .

18) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر (1415هـ) ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، دار الفكر ، بيروت .

19) السلمان ، عبد العزيز المحمد (1416هـ) ، **موارد الظمآن لدروس الزمان** ، ط26 ، دار عالم الكتب ، الرياض .

20) الشوكاني ، محمد بن علي (1413هـ) ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير** ، دار الحديث ، القاهرة .

21) الصالح ، محمد أديب (1421هـ) ، **التقوى في هدي الكتاب والسنة وسير الصالحين** ، ط1 ، دار القلم ، دمشق .

22) الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (1414هـ) ، **المعجم الأوسط** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

23) الطبري ، محمد بن جرير (1408هـ) ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ط1، دار الفكر ، بيروت .

24) علوان ، عبد الله ناصح (1401هـ) ، **تربية الأولاد في الإسلام** ، ط3 ، دار السلام ، حلب .

25) ابن فارس ، أحمد (1411هـ) ، **مقاييس اللغة** ، ط1 ، دار الجيل بيروت .

26) الفوزان ، عبد العزيز بن فوزان (1424هـ) ، **فقه التعامل مع الناس** ، ط1، دار ابن خزيمة ، الرياض .

27) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (1403هـ) ، **القاموس المحيط** ، دار الفكر، بيروت .

28) الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المُقْرِي (د.ت) ، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، المكتبة العلمية ، بيروت .

29) القاسمي ، جمال الدين (د.ت) ، **تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للغزالي** ، دار ابن القيم ، السعودية .

30) القاضي ، علي (1400هـ) ، **أضواء على التربية في الإسلام** ، ط 1 ، دار الأنصار ، القاهرة .

31) القرطبي ، محمد بن أحمد (1427هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

32) قطب ، سيد (د.ت) ، **في ظلال القرآن** ، دار الشروق ، مصر .

33) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (1407هـ) ، **زاد المعاد في هدْي خير العباد** ، ط14 ، مؤسسة الرسالة ، الكويت .

34) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (1407هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، دار الفكر ، بيروت .

35) الكويتية ، الموسوعة الفقهية (1410هـ) ، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر .

36) ابن ماجه ، محمد بن يزيد (1415هـ) ، **سنن ابن ماجه** ، دار الفكر ، بيروت .

37) ماردِيني ، صلاح الدين (1410هـ) ، **التقـوى** ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

38) مسلم ، مسلم بن الحجاج (1415هـ) ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، دار الفكر ، بيروت .

39) معلم ، عدنان عبد الوهاب (1424هـ) ، **البيت والمدرسة** ، ط 1 ، دار الفكر ، بيروت .

40) المناوي ، محمد عبد الرؤوف (1356هـ) ، **فيض القديـر** ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

41) ابن منظور ، محمد بن مكرم (د.ت) ، **لسان العرب** ، دار المعارف ، القاهرة .

42) النسائي ، أحمد بن شعيب (1416هـ)، **سنن النسائي** ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت .

43) الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد (1388هـ) ، **أسباب النزول** ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .